

373



تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

الليلة التي أمضاها ثورو في السجن

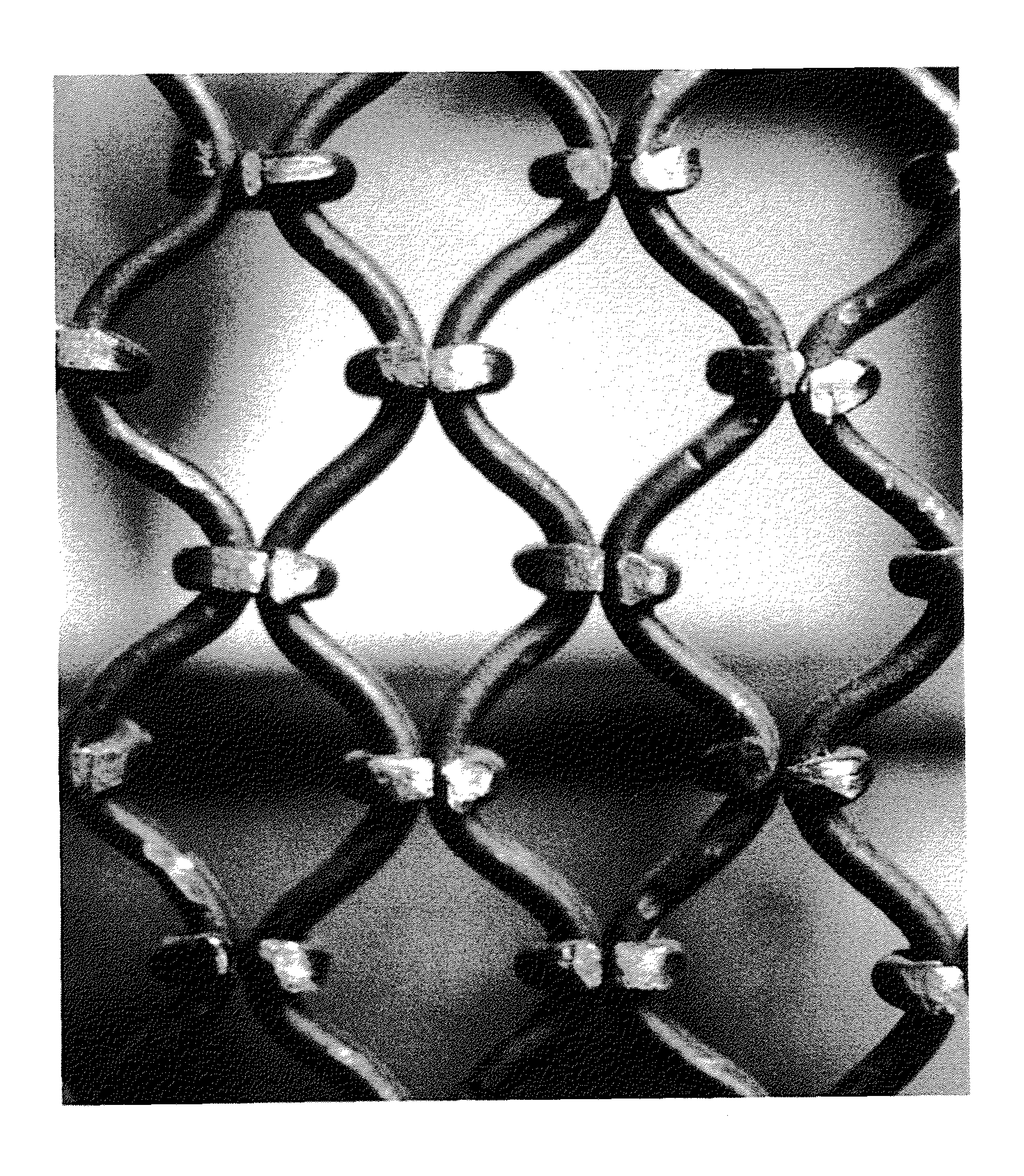
(مسرحية)

تــألــيــف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي

ترجمة وتقديم: حسن كامل بحري

مــراجــعــة: د. محمد مبارك بلال

أغسطس 2008



إهــــــداء٢٠٠٩

المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب
الكويت



الليلة التي أمضاها ثورو في السجن

(مسرحية)

تــألـــيـــف: جيروم لورنس وروبرت إي.لي

ترجمة وتقديم: حسن كامل بحري

مــراجـــعـــة: د.محمد مبارك بلال

إبداعات عالمية

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

www.kuwaitculture.org
E.Mail:
ebdaat_alamia@yahoo.com

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	500 فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	10 د.ك
للمؤسسات	20 د.ك

دول الخليج

للأفراد	12 د.ك
للمؤسسات	24 د.ك

الدول العربية الأخرى

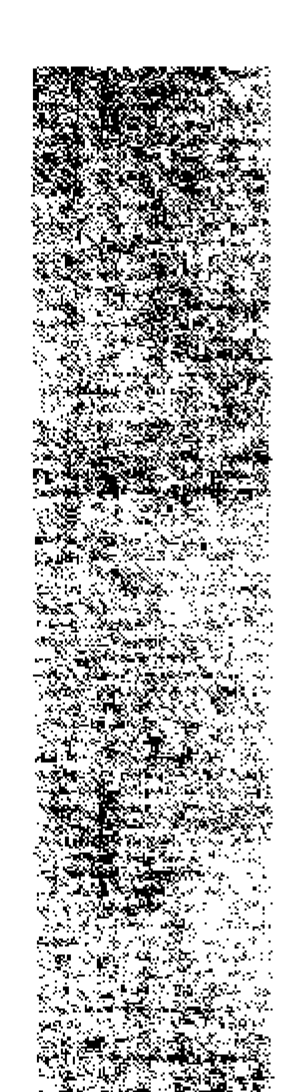
للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا

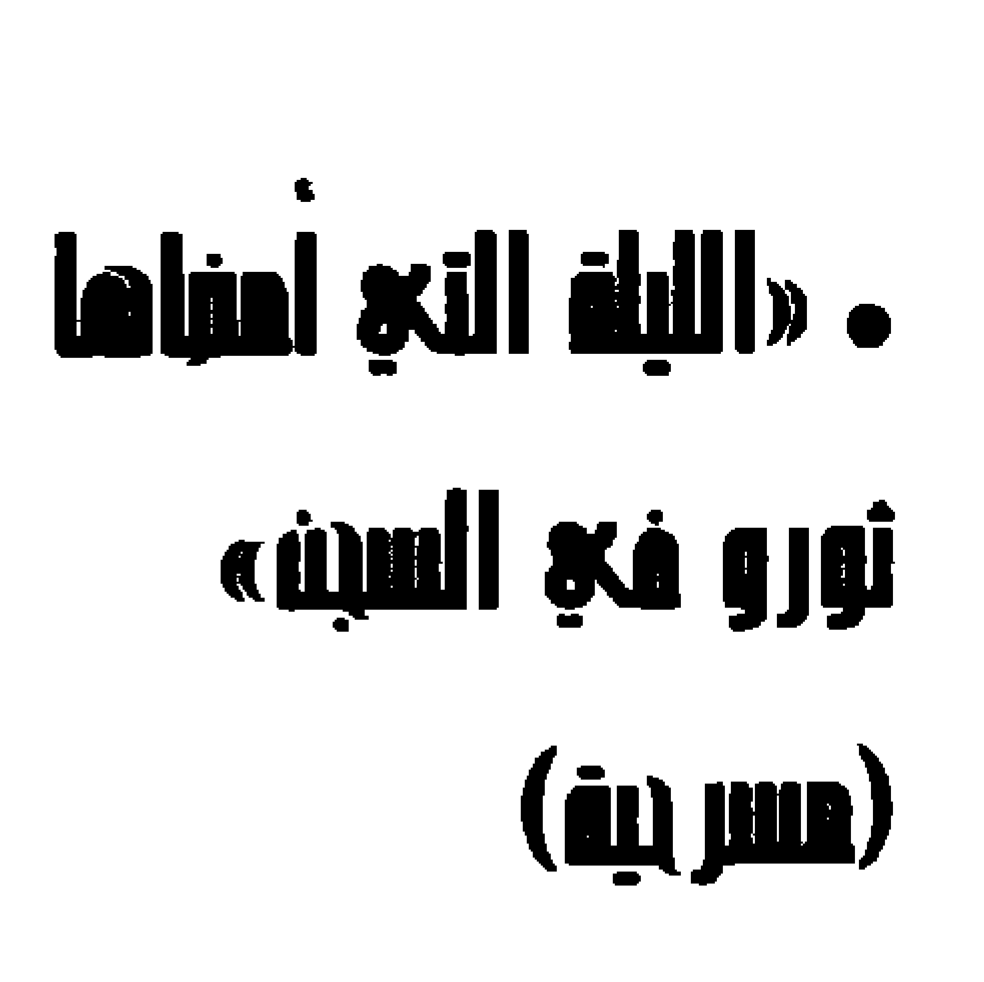
خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولار امريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:
السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147
دولة الكويت

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٠٦٧
ردمك: ٣-٢٤٦-٠٠-٩٩٩٠٦





العنوان الأصلي:

The Night Thoreau Spent In Jail

by: Jerome Lawrence & Robert E. Lee

دار النشر:

Hill and Wan

A division of Farrar, Straus and Giroux

New York

2000

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008م

إبداعات عالمية - العدد 373

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1990 - 1923)

المقدمة

عرفت مدينة كونكورد في الولايات المتحدة نشاطا فلسفيا وأدبيا لافتا في بدايات القرن قبل الماضي، حيث خرج منها عدد من الشعراء والفلاسفة عرفوا بالشعراء الرمزيين والفلاسفة الترانسنداتاليين. كان من بين هؤلاء بطلا مسرحيتنا الرئيسان دافيد هنري ثورو و والدو إمرسون.

إمرسون هو أول من وضع أسس هذه الفلسفة التي تحمل الكثير من الفلسفات الشرقية وتأثيراتها، ولنا حجة على ذلك في جل ما كتباه. ولفهم خلفية هذه المسرحية، لا بد من إلقاء بعض الضوء على بطليها:

ولد رالف والدو إمرسون في بوسطن عام ١٨٠٣، وبرز اهتمامه بالشرق وفلسفاته منذ كتاباته الأولى. ويرجع النقاد ميله إلى الشعر الرمزي والفلسفة الترانسندنتالية لأكثر من سبب، أولها عجزه عن دحض عقلانية القرن الثامن عشر في بلاده، هذه العقلانية التي قابلها مزاجه المثالي بالرفض، ولم تحظ برضاه مدرسة لوك وهيوم للتحليل النفسي السلوكي المسيطرة وسط مثقفي عصره، كما لم يجد في الكنيسة ضالته في الإجابة عن أسئلة اعتملت في سريرته. تداعت أرضية الأديان القديمة وصارت الليبرالية التوحيدية مدرسة أرثوذكسية ضيقة الأفق ومملة، فوجد

مراده في الشرق، في الفلسفة الهندوسية، وعند المتصوفة المسلمين، فانكب يروي عطشه ويمتح أفكاره منها.

وفي عام ١٨١٧ ولد مريد وتلميذ إمرسون، الشاعر والفيلسوف هنري دافيد ثورو، الذي تعرف على إمرسون عام ١٨٣٧. وفق كاتب سيرتي حياتيهما وصديقهما فرانكلن سانبورن فإن إمرسون هو من لفت انتباه ثورو إلى الشرق وفلسفاته خلال الفترة التي قضاها ثورو مقيما في منزل إمرسون. وسرعان ما نسمع ثورو يقول: «كم هي مثيرة المشاعر النبيلة في بطون المخطوطات القديمة عند هوميروس، وذاندافيستا وكونفوشيوس! لحن موسيقى يحمله لنا نسيم الزمن... قيمها النبيلة تقربها منا وتجعلنا نصغي إليها»، بعدها يمضي ثورو بقية حياته يقرأ هذه الفلسفات ويعلق عليها. وكتب ذات مرة «إن عبارة واحدة من الفيدا أثمن من ولاية ماساشوتس بمرات كثيرة»، بالإضافة إلى هذه التعليقات الانطباعية كتب تعليقات أخرى عميقة ومتروية جدا.

جمعت الرجلين صفات مشتركة، لكن استعداداتهما الطبيعية وتجاربهما العمرية المختلفة قادتهما إلى غايات ومواقف متباينة، فاستشراقية إمرسون تنضح بمثيولوجية انتقائية، وضع نظريات في الفن والشعر والسلوك الحياتي. في حين لم يكن ثورو صانع عقائد، إنما دائم البحث عن إدغام نفسه وتوحيدها كليا مع الطبيعة، قراءات إمرسون

تهدف إلى المماثلة والتوفيق أو في حدها الأقصى إدخال تعديلات طفيفة على خطوط مكتشفة ولا يعرف فتوحا ريادية.

للمدارس الصوفية الإسلامية وفلاسفتها بصمات واضحة على إبداعات وتفكير الرجلين اللذين لم يخفيا إعجابهما بها في أكثر من مكان.

تستحوذ الطبيعة على ثورو، ولها مكان مهم في إبداعه. أما صديقه إمرسون فكان مسيحيا على صعيد الممارسة، وأوجد لنفسه توليفة بين الطوبى المسيحية والأحدية الشرقية واستعداده لا يضاهى لمزج عبارات من الشرق وفلسفاته مع عباراته.

بخصوص الدولة وشؤون الحكم لم يكن ثورو كونفوشيوسيا مسالما، بل كان داعية كبيرا للعصيان المدني على خلاف إمرسون، داعية مذهب الامتثالية الذي وجد عند كونفوشيوس - فيلسوف الصين العظيم - تسويغا لسلوكه ومواقفه.

احتقر ثورو العادات المتأنقة والتمسك بالرسميات والشعائر، في حين كان إمرسون يراعيها جميعا بل يحرص على التمسك بها.

تجاذبت ثورو ثلاث شخصيات: ثورو محب الطبيعة، وثورو الثوري المتمرد، وثورو الكونفوشيوسي .وبقي إمرسون اتساقيا

سلوكيا حملت كلماته تلاوين أفلاطونية براهماتية، لم يهتم ثورو بواقع العالم بل بإمكانه، والخلاص ليس بقبول هذا الواقع بل بالاكتساب والتغيير.

فلسفة إمرسون عالمية وثقافته إنسانية شمولية، بينما حمل ثورو جذوة التمرد وحلم الثوري، حيث قال ذات مرة إن أفكاره دوما تخطيط ضد الدولة. أخذ ثورو الكثير من الشرق وقدم له أيضا الكثير، كتب أبحاثه المشهورة ومنها «العصيان المدني» و«العيش دون مبادئ»، وعندما تبنى الماهاتما غاندي ما جاء فيها صارت شعارا لعشرات الملايين من البشر.

ذكر رومان رونالد في كتابه حول الماهاتما غاندي أن الماهاتما لم يكن يخطط للعصيان المدني منذ البداية، وكان لكتابات ثورو أثر كبير في تبنيه له. كتب الماهاتما في يوليو من عام ١٩٢٠ في افتتاحية لصحيفة «الهند الفتاة»، يقول: «إن ثورو وأمثاله من الرجال هم الذين أحدثوا إلغاء الرق عبر مثلهم الشخصية».

وذكر في مكان آخر أنه تعرف على كتابات ثورو عام ١٩٠٧ خلال فترة المقاومة السلبية، وإن مقال «العصيان المدني» ترك كبير الأثر في نفسه فترجمه ونشر معظمه.

جُبلت روحه لمجتمع أكثر نبلا واستنفد في حياته القصيرة إمكانات العالم، نراه يجد منزلا له حيثما كانت المعرفة والفضيلة والجمال، وفق ما يقول كاتب سيرة حياة

ثــورو روبـرت ستيفنســون عــن بطل المســرحية الرئيس دافيد هنري ثورو.

كتبـت المقدمة بالاسـتفادة مــن كتــاب: The Orient in، American Transendetalism، BY Arther Ghristy والاقتباسات الواردة أخذت من هذا الكتاب بعد ترجمتها من قبل المترجم.

نبذة عن المسرحية

يرفض ثورو دفع الضرائب لحكومة بلاده احتجاجا على سياستها تجاه الرق وحربها ضد المكسيك، البلد الجار الصغير الضعيف، واحتجاجا على قضايا أخرى اعتبرها غير مشروعة في زمانه. دخل السجن ضريبة لمواقفه، فهل غير السجن هذه المواقف؟

الليلة التي أمضاها ثورو في السجن تقدم لنا ثورو في زنزانته والظروف المحيطة، يسترجع ماضيه ومواقفه ليكتشف ذاته من جديد. نتعرف على علاقته وتأثره بالشاعر والفيلسوف إمرسون ونصغي لسجلاتهما. كل مشهد من المسرحية يضيء جانبا من شخصية بطلها ثورو، ليس كشاعر وفيلسوف، بل ذلك الكائن البشري بضعفه وكبريائه وقوته.

نلمس إعجاب هنري ثورو بشخصية والدو إمرسون وتأثره العميق بأفكار هذا الفيلسوف الذي يطرح آراءه حول مختلف القضايا الإنسانية والمهمة، لكنه في مواقفه العملية يميل إلى الانسجام والتناغم مع الموجود باحثا عن حياة رغيدة هادئة، في حين يتبنى هنري هذه الأفكار ويعتبرها برنامج عمل له، يحفظها عن ظهر قلب ويطالبه بممارستها لاعتقاده أنها يمكن أن تغير ما حوله ومن حوله. فيتدرع هنري بأفكار والدو في مواجهة وقائع الحياة السياسية لعصره ومشاكله،

إلـى درجـة أننا نرى والدو يخاطب هنري في إحدى اللحظات قائـلا «أحيانـا أعتقد أنني اخترعتك يا هنـري، أو على الأقل ألهمتـك، لأنك تعيش ما أتحدث عنه، أنا لا أسـتطيع الوجود بطريقتك يا هنري، أنا أحب إحضار الخبز المحمص الساخن والشـاي والبيضة نصف المسـلوقة على صينية إلى فراشي كل صباح لكنني معجب بك يا هنري... أنت أخلاقي الماشية!».

يصـدق هنـري خطـاب والـدو إمرسـون، حكيـم كونكـورد، الإنسانوي، فيتمرد ويعلن نفسه حرا لا يخضع لإرادة أحد.

يمتـد إعجـاب هنـري الشـاب المتمـرد بوالـدو إلـى زوجته ليديـان، إعجـاب يمتـزج فيـه الحب والاحتـرام، وإلـى ابنهما الصغير إدواردو.

يمـارس هنري فلسـفته الخاصـة، يدرس المناهج المدرسـية بطريقـة تختلف عن المقررات، يحاول تعليم التلاميذ الحرية الشخصية من دون تقييد لتفكيرهم حتى مجيء ناظر المدرسة ديكون بول. هذه الشـخصية التي تجسـد المؤسسـة وسلطتها، يوجه ديكون بول ملاحظاته وينتقد أسلوب هنري في التعليم، يتهمـه بالابتعاد عن المقررات وعـدم تعليم التلاميذ الخضوع والطاعة، هذه الصفة التي يراها أساسية يجب أن تتوافر لدى جميـع المرؤوسـين، يطالبه بجلد التلاميـذ. يقدم هنري على جلد التلاميذ خشية العقوبة والفصل من المؤسسة، لكنه يغادر هذه المدرسة ويشكل مدرسته الخاصة، يدرس تلاميذه بأسلوبه

الخاص في أحضان الطبيعة، خلال أحد الدروس يتعرف على الآنسة إيلين التي تُسمي هنري «السحابة الراعدة».

في السجن نلتقي مع سجين آخر بيلي الذي ينتظر محاكمته ولا يريد القيام بأي شيء خشية أن ينعكس ذلك سلبا على قرار القاضي. هذه الشخصية ساذجة وجاهلة، بصعوبة تعرف ما يجري حولها، فما بالك أن تعرف الصحيح لفعله؟

عندما يتعرف بيلي على هنري يشعر بفرح كبير لأنه التقى مثقفا وكاتبا.

يعلمه هنري كيف يكتب اسمه، ليكون موضع فخر لأمه بعد خروجه من السجن.

ونتعرف على شخصية العبد الآبق وليمز الذي يريد الهروب إلى مكان أكثر حرية للعبيد، يصرخ ملء صوته أنه لا يريد أن يكون عبدا. هنري أول شخص يناديه «يا سيد،» ويطلب منه أن يختار اسما خاصا له وألا يخجل من لونه، فالعبودية ليست للون، بل إن الإنسان المصفود إلى عشر ساعات من الدوام اليومي هو عبد للعمل، ويقول له «يجب أن تبحث عن مكان للعيش حيث يفكر البشر بأنفسهم كبشر وليس كبيض».

نلتقي أيضا بشخصية الشرطي سام ستابلز الذي يجد صعوبة في إقناع هنري بدفع الضريبة المستحقة عليه، ويضطر

في النهاية لإلقاء القبض عليه غير راغب في ذلك، لكن خوفا مـن القانـون. وقبل أن يوقفه يحاول سـام أن يدفـع الضريبة عنه، فهي مبلغ صغير، لكن هنري يرفض بشدة، المسألة قضية مبدأ، وليسـت عوزا للنقـود، خلال حوارهما يتجمع السـابلة حولهما يطالبون الشـرطي بتوقيف هنري. يقول الشرطي له «أنـا لم أعرف رجلا أشـرف منـك يا هنري»، لكنـه يوقفه بعد جدل مع من تجمعوا حولهما من المواطنين، إنه موقف يذكرنا بالأكثرية التي أقرت إعدام الفيلسوف سقراط.

وهنـاك شـخصيات عديدة أخـرى ترد في المسـرحية، منها شـخصية الأم - أم هنـري - وجـون - شـقيق هنـري - وخالته أيضا، شـخصيات تغني الحدث وتزيده تنوعا لنكتشف جوانب ثانوية لكنها مهمة في شخصية هنري ثورو.

تتـوزع المسـرحية علـى فصلـين، فـي المشـاهد الأخيرة من الفصل الثاني يتوصل هنـري إلى إقناع والدو إمرسـون باتخاذ موقف وإعلانه في الساحة العامة أمام الناس من أهل المدينة. يسبقه هنـري إلى السـاحة العامة لجمع النـاس والتحضير للحـدث، يتجمهر المواطنون، يتخلف والـدو عن الموعد، يزداد إحباط هنري ويهاجم صنمه، يصرخ «كيف نخلق صوتا؟ كيف نكسر هذا الصمت اللعين؟».

المشـهد التالي فـي الزنزانة، يلقي هنري بجسـده محبطا علـى السـرير، يبـدأ حلما أشـبه بكابـوس من كوابيـس غويا،

هلوسات سريالية، يختلط المكان والزمان، وتتشوه الأصوات... تفلت شخصيات المسرحية من أدوارها، تأخذ أدوارا مختلفة.

والدو في دور الرئيس الأمريكي، وسام مدربا للقوات العسكرية، ويرتدي ناظر المدرسة برة جنرال عسكري وشرائط مذهبة، والمشهد مشهد حرب وقتل، الجميع يعلم الكراهية ويحض على القتل... تتتابع الأحداث لنسمع في نهاية المسرحية قرع طبل مختلفا. بتصميم يقفز هنري من منصة المسرح ليلحق ضربات طباله الخاص والمختلف. تنتهي المسرحية، ستارة غير مسدلة، الإضاءة ساطعة، وصدى طبل هنري يزداد تمايزا وقوة.

ففي السجن يكشف هنري عن مواقفه المعارضة للحضارة المادية والرتابة والتقييد الاجتماعي، لكن في نهاية ليلته هذه يقرر مواجهة الحقيقة والبشر الفعليين بدلا من تجاهلهم.

قام المؤلفان بتجريد أحداث تلك الفترة من إقليميتها وعصرها ليعطياها طابعا كونيا مشتركا، بحيث يعكس موقف ثورو وينسجم مع مواقف شباب اليوم، من طلابه ومثقفيه، رفضا للحروب وتشييء الإنسان لتسود الآلة وتدمر البيئة، كل ذلك ضمن تتابع سلس للحدث والأحداث فيها، تصرخ بنا علنا نتوقف لحظة عن الدوران حول ذواتنا لننظر خارج هذا القصف إلى العالم بكليته لنجعله أجمل وأبقى.

ملاحظات كاتبي المسرحية حول إنتاجها

ما يعطي المسرحية شكلها، هو قرار ثورو بالعودة إلى الجنس البشري، أي انتقاله من حالة الانسحاب بعيدا عن البشر تجاه العودة إليهم، ورحلته من الزهد إلى الوعي الاجتماعي. هذا هو النص الضمني الذي يسري داخل المسرحية، وعلى المخرج والممثل أن يكشفا هذا التطور حتما، وبشكل بطيء مثل زهرة تتفتح.

كانت الليلة التي أمضاها ثورو في السجن تجربة صوفية غامضة بالنسبة إلى هذا الرجل ذي الحساسية البالغة، فبينما كان يرزح في السجن كانت له حرية استكشاف ذاته الحقيقية، وحقيقة تجاربه بالإضافة إلى الماضي واستشراف المستقبل، وهذه التجربة هي نوع من الوجد، «العاطفة»، والكشف والتلخيص لحياته على المنحنى الزمني الذي يبدأ بغروب الشمس وينتهي بشروقها.

ثورو الذي تقدمه هذه المسرحية ليس ذاك الرجل الملتحي، ذي العينين المتعبتين، الذي نراه هذه الأيام على الطوابع البريدية، بل هو هذا المعاصر المتألق، حليق الذقن والمفعم بالنشاط والنقمة على جنون حضارته وتفاهتها من حوله. وغرض هذه المسرحية الوصول إلى أعمق من الكلمات التي كتبها، لسبر الاضطراب العظيم الذي غرف كلماته منه.

إذا ما كان ثورو ثوريا، فإن ثوريته كانت بتلك الروح التي تمتع بها قبله بأربعة عقود أولئك الذين تخيلوا ولايات متحدة لا يحظى فيها الحفاظ على النظام القائم بأي قداسة تتعدى

قداسة التغير الحلزوني المرجو. وخلال الليلة التي قضاها ثورو في السجن، أدرك أن أنشودة والدن Walden الرعوية كانت قد فعلت فعلها فيه، وشروق الشمس ينخسه بتحديات جديدة.

وأفضل ما يمكن عمله لدى تقديم هذه المسرحية هو الأخذ بنصيحة ثورو نفسه: «بسِّطا»، فبقدر ما يمكن الحذف مما هو جسدي وملموس، بقدر ما يستطيع جمهورك الإسهام أكثر في عملية التخييل، فهذه المسرحية ليست عرضا مملا لحياة إنسان واحد في مكان واحد وخلال ليلة واحدة، ونحن لسنا مقيدين بـ «الفلاش باك» أو عمليات «الاستذكار». ولا بد من تشجيع جميع شخوص المسرحية، بمن فيهم النظارة، على المشاركة في وليمة التخييل هذه، إن الثورية هي ما يجب أن يأتي به إلى المسرحية كل من يتعامل معها، وهي أيضا ما يجب أن يستمدَّه منها، بوصفها شيئا يخصه على نحو فريد.

جيروم لورنس وروبرت إي.لي - ١٩٧٠

نبذة عن كاتبي المسرحية

جيروم لورنس

ولد جيروم لورنس في أوهايو في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعد من كبار كتاب المسرح ومخرجيه. وبالتعاون مع الكاتب روبرت لي أبدعا أعمالا فنية رائعة كتابة وإخراجا للمسرح الأمريكي، ومن بين هذه الأعمال «وريث الريح» و«الليلة التي أمضاها ثورو في السجن» التي جرى عرضها للمرة الأولى في ولاية أوهايو لتصبح بعدها «المسرحية الأوسع إنتاجا لعصرنا». وفق أحد النقاد.

حصل جيروم لورنس وروبرت لي على أعلى الجوائز قدرا في المسرح، من بينها جائزة دونالدسون وجائزة أوهايو وفاريتي كريتيكس بول في لندن ونيويورك، وكذلك جائزة الإنجاز على مدى الحياة من جمعية المسرح الأمريكي. كما شغل لورنس مركزا في مجلس مديري مسرح كونسرفاتوري الأمريكي ومسرح ريبيراتواتوري الوطني ونقابة الدراميين بالإضافة إلى نقابة الكتاب ونقابة المؤلفين الأمريكيين.

وشارك في تأسيس «مسرح كتاب المسرح الأمريكيين» كما أنه ضمن أعضاء لجنة التحكيم في «جائزة جونز مارغو» التي كان قد شارك في تأسيسها.

يعمل أستاذا زائرا في جامعة ولاية أوهايو، ويزور جامعات أخرى في الولايات المتحدة الأمريكية، ويجول في العالم كداعية للتبادل الثقافي بين الشعوب. ويعيش حاليا في كاليفورنيا.

روبرت إي. لي

درس في أوهايو وجامعاتها وكفل لنفسه مكانا رفيعا مع جيروم لورنس في تاريخ المسرح الأمريكي عبر إبداعاتهما المشتركة في ميدان التأليف والإنتاج ووصل عدد المسرحيات التي أنتجاها إلى ثلاثين عملا، وكرس حياته التزاما بالمسرح الجديد ودعم الكتّاب الجدد، وترجمت أعمالهما المشتركة إلى أكثر من ٣٢ لغة. وفي عام ١٩٩٠ سمي لي ولورنس زميلين للمسرح الأمريكي في مركز كندي. توفي روبرت لي في ٨ يوليو ١٩٩٤ في لوس أنجليس.

المترجم: حسن بحري

كلمة لا بد منها

تتناول مسرحية «الليلة التي أمضاها ثورو في السجن» حالة العصيان المدني الأول في التاريخ الأمريكي وربما الأكثر شهرة - رفض ثورو دفع ضريبة الرؤوس، وهي ضريبة تفرض على كل شخص بالغ - عام ١٨٤٦، والليلة التي أمضاها في السجن بسبب هذا الرفض.

يصير مشهد السجن إطارا عاما لتلك الفترات المملوءة بالأحداث من حياة ثورو: من علاقته بالشاعر إمرسون، إلى اعتكافه للتأمل على ضفاف بحيرة والدن Walden Pond وقضية حبه غير الموفق.

وكما يقول لورنس ولي عن المسرحية إنها حكاية «الترحال الطويل لروح إنسان خلال ليلة واحدة» من اعتكافه وتنسكه حتى انضمامه من جديد إلى الجنس البشري. إنها نشوة وعاطفة وتجوال. دفاع عن المعارضة اللاعنفية وبحث عن الحقيقة الشخصية. ويعد دافيد هنري ثورو بطلا شعبيا بين شباب اليوم، فلقد صرخ ضد الحرب وضد تلويث الطبيعة وضد سطوة المادية.

ويشبه رفضه دفع الضريبة لدعم ما كان يعده حربا لا أخلاقية «الحرب مع المكسيك» إلى حد كبير صرخات شباب اليوم في أمريكا والعالم أجمع».

إن «الليلة التي أمضاها ثورو في السجن» هي المسرحية الثالثة عشرة التي أنتجها جيروم لورنس وروبرت لي.



مقدمة المترجم

إن الشخصيتين الرئيستين في مسرحيتنا هما الفيلسوفان والشاعران هنري دافيد ثورو ورالف والدو إمرسون، ولذلك لابد من أن تكون المقدمة حول الرجلين وحياتيهما.

عرفت مدينة كونكورد في إنجلترا الجديدة نشاطا فلسفيا وأدبيا لافتا في بدايات القرن الماضي. إذ خرج منها عدد من الفلاسفة والشعراء دعوا بالشعراء الرمزيين والفلاسفة الترنسندنتاليين، كان من بينهم بطلا مسرحيتنا هذه، ثورو وإمرسون. بل إن إمرسون هو من وضع أسس هذه الفلسفة هناك، وتلاحظ بصمات الفلسفات الشرقية على كل ما كتباه. ولفهم خلفية مسرحيتنا هذه «الليلة التي أمضاها ثورو في السجن» لابد من إلقاء بعض الضوء على بطليها الرئيسين:

في عام ١٨٠٣ ولد رالف والدو إمرسون في بوسطن، وظهر اهتمامه بالشرق وفلاسفته. وكان الفضل في ذلك لعمته التي أثارت فضوله في هذا الاتجاه، حيث شكلت هذه الفلسفات أرضية لفلسفته الترانسندنتالية وشعره الرمزي، وذلك لأكثر من سبب: أولها عجز إمرسون عن دحض عقلانية القرن الثامن عشر في بلاده، هذه العقلانية التي كان يرفضها مزاجه المثالي. وكانت مدرسة التحليل النفسي السلوكي للوك وهيوم هي المسيطرة في تلك الحقبة. فلم تكن لتحظى برضاه، ولم يجد في الكنيسة الحل المنشود. فلقد تداعت أرضية الأديان القديمة. وصارت الليبرالية التوحيدية Unitarian liberalism أرثوذكسية عادية وضيقة. نتيجة ذلك كله وجد

إمرسون في الفلسفة الهندوسية والمتصوفة المسلمين ملاذا له ومنهلا لأفكاره.

وفي عام ١٨١٧ في ماساشوتس في مدينة كونكورد ولد مريد وتلميذ إمرسون الفيلسوف والشاعر هنري دافيد ثورو. وقد تعرف ثورو على إمرسون عام ١٨٣٧، كما يقول كاتب سيرة حياتيهما وصديقهما فرانكلين بنيامين سانبورن. وكان إمرسون أول من لفت انتباه ثورو إلى الشرق وكتاباته وذلك خلال الفترة التي قضاها ثورو في منزل إمرسون عام ١٨٤١ ونرى ثورو يقول: «لكم هي مثيرة المشاعر النبيلة في المخطوطات القديمة عند هوميروس وذاندافيستا، وكونفوشيوس! إنها لحن موسيقى يحمله لنا نسيم الزمن... فقيمها النبيلة تقربها منا وتجعلنا نصغي إليها».[1].

ويصف تأثير الكتب الهندوسية المقدسة فيه في تلك الفترة: «لا يمكن أن أقرأ جملة واحدة في الكتب الهندوسية من دون أن أحلق فوق نجود ghaut. فإيقاع كلماتها كإيقاع رياح الصحراء، كمد نهر الغانج فهي متعالية على النقد علو جبال الهملايا..... فلا وجود لفكر عظيم في رداء وضيع، إنها أفكار تسمو باللغة التي ترتديها».[2].

ونرى أن اهتمام ثورو بالشرق وفلسفاته جاء بعد اهتمام إمرسون. حيث لم يطلع ثورو على هذه الكنوز خلال سنواته في جامعة هارفرد. «وعندما امتلك حرية العيش في مكتبة إمرسون، كان أشبه بإنسان استبد به العطش ووجد عين ماء عذب في صحراء».

1- thoreau. journal 1.55

2- Ibid I -166

وبعد ذلك أمضى العقدين المتبقيين من عمره في قراءة هذه الفلسفات والتعليق عليها. ويكتب ذات مرة عن الفيدا (كتب الهندوس المقدسة الأربعة) «إن عبارة واحدة منها (الفيدا) لهي أثمن من ولاية ماساشوتس بمرات كثيرة[٣]. لكنه بالإضافة إلى هذه التعليقات الانطباعية كتب تعليقات عميقة جدا. فعندما قارن بين الدين والفلسفة العبرية مع دين وفلسفة الهندوس، قال إن الأولى «قبلية، أشد فظاظة ووحشية» في حين تعكس الثانية «رقة ونقاء حضاريا وذهنيا»[٤]، الحقيقة عند الهندوس تمرين ذهني، ليست حقيقة عملية اجتماعية، إنها معرفة وليست عملا[٥]. وتكشف لنا مثل هذه التعليقات وسواها مقدار تعلق ثورو بالشرق ومخطوطاته.

كانت تجمع إمرسون وثورو صفات مشتركة، لكن استعداداتهما الطبيعية وتجاربهما المختلفة قادتهما إلى غايات متباينة. فاستشرافية إمرسون تنضح بثيولوجية انتقائية. ونجد عنده مفهوم «الروح العليا over -saul[*]» وهو مفهوم شمولي عنده يربط بين نظرياته في الفن والشعر والسلوك الحياتي. بينما لم يكن ثورو صانع عقائد، بل كان يبحث عن إدغام نفسه وتوحيدها بشكل كامل مع الطبيعة، وكان يقارن نفسه بالهندوس.وكانت قراءات إمرسون تهدف إلى المماثلة والتوفيق أو في حدها الأقصى إدخال تعديلات على خطوط مكتشفة ولا يقدم أي انطلاقات جديدة. ونلاحظ بصمات الصوفية الإسلامية وفلاسفتها

3- Arthur Ghristy ، the orient in American thranscendentalism
4-Ibid
5- Ibid

*over-soul - الروح العليا أو الحقيقة المطلقة.

واضحة على تفكيرهما وأعمالهما، وقد أبديا إعجابهما بها أكثر من مرة وفي أكثر من موقع.

ونلمس فرقا واضحا بين استفادة ثورو الأدبية والفلسفية واستفادة إمرسون من الشرق وكتاباته. فنرى الطبيعة بموجوداتها تستحوذ على ثورو، حيث تذكره شجرة الصفصاف متدلية الأغصان في بلاده «بطبيعة الشرق والحدائق الفارسية وليس بإنجلترا الجديدة».

أما بالنسبة إلى إمرسون فكان عنده استعداد دائم ومزج لطيف للعبارات الهندوسية وسواها مع عباراته. وفي صياغته لعقيدته «الروح العليا» فإنه يضعها بموازاة الفيدا. لكنه على صعيد الممارسة كان مسيحيا. وأوجد توليفة بين الطوبى المسيحية والأحدية الشرقية monism عندما قال «طوبى لذلك اليوم عندما يعرف الشباب أن «في» و«فوق» لهما المعنى نفسه»[٦].

ولكن ثورو القارئ النهم للشرق وفلسفاته وجد فيها الكثير، فكيف لأسلوبه ألا يكون أسلوبا شعريا وفلسفيا جميلا، إذا كان داخل هذا الرجل المتقد شاعر؟

اهتم ثورو أيضا بالدولة وشؤون الحكم، فلم يكن ميالا مزاجيا إلى مواقف كونفوشيوس، لكنه يقول «حتى فيلسوف الصين العظيم كان حكيما بما فيه الكفاية ليعتبر أن الفرد هو أساس الإمبراطورية»[٧]، فقد كان داعية كبيرا «للعصيان المدني» في حين كان إمرسون وكونفوشيوس من دعاة الامتثالية CONFORMITY. ولن يذهب أي كونفوشيوسي إلى والدن Walden حيث اعتكف ثورو. في حين وجد إمرسون في كونفوشيوس تسويغا لسلوكه الحياتي ومواقفه.

6- Emerson . journals III 399

7- thoreau writings Iv . 387

وفـي الوقـت الـذي كان ثـورو يحتقـر العـادات المتأنقـة والإتيكيـت والتمسـك بالرسميات والشعائر، نجد إمرسـون يحترمها ويتمسك بها.

جمعـت بـين الأدوار الثلاثـة التـي لعبهـا شـاعر كونكـورد - : ثـورو الطبيعي وثورو اليوغي، وثورو الكونفوشيوسـي - شـخصية إنسانية فريدة تتسم باتساق واستقامة لا يتغيران، وذلك على خلاف إمرسون متعدد الجوانـب والذي تأخذ كلماته تلاويـن أفلاطونية براهماتية وكونفوشيوسية.

إن ثورو رتيب لكنه اتسـاقي عظيـم، وخلاصة ما أخذه من الهندوس والفـرس والصينيـين كانـت حبهم الباطنـي للطبيعـة. ولكي نفهم والدن Walden في فلسفته لا بد من العودة إلى فلسفته الحياتية. فعندما تكون الحقيقة هي البراهما - الروح العليا (الحقيقة المطلقة) - والعالم الظاهري كذب، لا بد من أن تكون النهاية المنطقية للحياة هي البحث الحثيث عن تلك الحقيقة. فلم يكن اهتمام ثـورو بواقع الـعالم إنما بإمكانه . ولا يشكل الخلاص مسألة قبول عقيمة، إنما اكتساب ونفاذ بصيرة.

كان إمرسـون يحـب المدنية أكثـر من ثورو. وكانت فلسـفته نوعا من العالمية والثقافة الإنسانية الشمولية، بينما كان ثورو مراقبا دقيقا، عالما نباتيا، رجلا عمليا، قام بمختلف ضروب الأعمال عند إمرسون الذي بقي طالبا وحالما وسـعيدا بكتبه، يحلم بالشـعراء والمتصوفة، فـكان حريـا بـه - أي إمرسـون - وليـس ثـورو، الابتعاد عـن العالم لتنظيف قنواته المؤدية إلى الروح العليا من جميع ما يعيقها. لكننا نـرى ثـورو هو الـذي اعتكف في والـدن واعتبر اعتكافـه طريقة في

الحيـاة تشـكل ممرا أكيـدا تجاه معرفة الـذات الروحيـة والواقعية.

ويقـول عـن اعتكافـه فـي والـدن «لم يكـن هدفـي من الذهـاب إلى والـدن العيش برخص أو بغلاء إنمـا القيام ببعض أعمالي الخاصة وبأقـل قـدر ممكن مـن العوائق»[8]، وكان يردد دومـا «لا يمكن الجمع بـين محبة الطبيعة والإنسـان، إنه قانـون. فما يقربك من أحدهما يبعدك عن الآخر»[9].

وكان كلاهمـا متأثرا بالمعتقدات الدينية عند الهندوس حول الحياة بعـد المـوت. فالمـوت بالنسـبة إليهما تحريـر للقوة الحيويـة، وعودة إلـى الطبيعة؛ ولذلـك كان إيمانهما يتداخـل ويتخالط مع المنطق الحتمي عند الهندوس.

وأخيـرا لابـد من القـول إنه لا يمكن إنـكار اهتمام ثـورو بحياة أهل بلدته سكان كونكورد والمشاكل الصناعية. وكتب يلفت الانتباه إلى آثار العمل الصناعي الشاق على البشر كأفراد، ووجد أن مثل هذا العمل جعل أصابعهم وجلة وخرقاء لا تستطيع قطف ثمار الحياة. وهؤلاء مرتهنون بعمل قاس واهتمامات تافهة، وليس لديهم أي فراغ لمكاملة شـخصياتهم أو لتدعيم ما يسـميه ثورو بـ «العلاقات الإنسـانية مع الإنسـان»، فالآلة هددت وقضت على قيم الطبيعة الإنسانية «مثلما تموت الزهرة على الثمرة»، وهنا لابد من الإشارة إلى أن اعتكافه في والـدن لم يكن هربا أو فشـلا في الحياة ومنهـا إنما على حد تعبيره «للعيش كما يجب أن يعيش أي فيلسوف، وليس بحماقة مثل البشر الآخرين، بل بحكمة ووفقا للقوانين الكونية»[10].

8- thoreau journal II.21

9-thoreau journal II .40

10- thoreau writings IV 348.

لقد أخذ ثورو من الشرق الكثير، لكنه أعطاه أيضا. وليس بغريب على مثل هذه الشخصية أن تكون أفكارها دوما، كما يقول، تخطيطا ضد الدولة، وكتب مقالاته المشهورة «العصيان المدني» و«العيش دون مبادئ» وتبنى الماهاتما غاندي ما جاء فيهما وصارت شعارا لملايين الهندوس.

ويذكر رومان رولاند في كتابه حول الماهاتما غاندي أن الماهاتما لم يكن يخطط منذ البداية للعصيان المدني، ولكنه كان يعرف من دراسته المعمقة لثورو حيث اقتبس الكثير منه. وكتب الماهاتما في يوليو عام ١٩٢٠ في افتتاحية Young India: «إن ثورو وأمثاله من الرجال هم الذين أحدثوا إلغاء الرق عبر مثلهم الشخصية»[11].

ويقول ردا على رسالة من هنري سالت (الكاتب الأول لسيرة ثورو): «كان تعرفي الأول على كتابات ثورو عام ١٩٠٧ خلال فترة المقاومة السلبية، أرسل لي أحد الأصدقاء مقالته حول «العصيان المدني» التي تركت عميق الأثر في نفسي، وقمت بترجمة ونشر قسم منها»[12].

وأخيرا كما يقول روبرت لويس ستيفنسون عن ثورو: «جبلت روحه لمجتمع أكثر نبلا، واستنفد في حياته القصيرة إمكانات العالم. فنراه حيثما كانت المعرفة، والفضيلة والجمال، وجد منزلا له»[13].

حسن بحري

11- Mahatma Gandhi ، young India

12- Henrys. Salt ،Company Ihave kept 1930 p-100

13- Emerson ،works ، 485

شخصيات المسرحية

والدو: رالف والدو إمرسون، فيلسوف وشاعر.

هنري: هنري دافيد ثورو، فيلسوف وشاعر.

ليديان: زوجة والدو.

إدوارد: ابن والدو.

الأم: أم هنري.

جون: جون دافيد ثورو، شقيق ثورو.

بيلي: زميل هنري في الزنزانة.

بول: ديكون نحميا بول، رئيس إدارة المدرسة.

إيلين: إيلين سيويل، طالبة عند ثورو.

سام: سام ستابلز، شرطي وجابي الضرائب.

وليمز: زنجي كان عبدا وفرَّ من سيده.

بالإضافة إلى بعض الشخصيات الثانوية غير المحددة الأخرى.

ثورو الراهن

لا ينتمي المسجون في مسرحيتنا إلى العصر الذي عاش فيه بقدر انتمائه إلى جيل السبعينيات من هذا القرن. نبذ هنري دافيد ثورو، منذ أكثر من قرن، بوصفه شخصا غريب الأطوار. فلا أحد تجرأ على مثل هذا التمرد، وهو المستخدم عند إمرسون، وعلى التساؤل حول فوائد التقنية! فما الذي دفعه إلى هذا الموقف ما دام من الواضح لكل متعلم أن التطور التقني والتقدم مترادفان. فلإيجاد عالم أفضل، ليس علينا سوى جعل الأشياء أكبر أو أسرع أو أقوى أو أرخص.

لكن المادية ليست هي السبيل.

لقد اشتم الدخان قبل أن نراه نحن.

ولذع هذا الدخان روحه قبل أن يلذع أعيننا.

صرخ ثورو بكل هذا، لكن في ذلك الزمن الذي لم يعرف التلفزة كان سمع الناس بطيئا.

لقد تغنى بالتمرد اللاعنفي، لكن من تابعوا نشيده لم يكونوا سوى قلة قليلة: غاندي، والكونت تلستوي ومارتن لوثر كينغ.

لقد دفعت ذهنية الحكومة المادية ثورو المتصوف إلى شطآن والدن. وكانت نقمة ثورو شبيهة جدا بنقمة

شباب اليوم. فلقد أثار الكذب والدجل، اللذان غطيا على الصراع الدموي بين أمته وأمة أصغر هي المكسيك، سخط ثورو واشمئزازه، وتظاهر رئيس الولايات المتحدة وقتها «جيمس بولك» بمحاولة حل الخلاف على طاولة المفاوضات. بعد ذلك توغلت القوات الأمريكية، من دون موافقة الكونغرس، داخل أراضي المكسيك. وحصل تقرير الرئيس الناقص وغير الدقيق (الذي فسر بصورة واهية على أن ذلك قد نتج بسبب النقص في الاتصالات الإلكترونية) على موافقة الكونغرس. وابتهج دعاة تفوق البيض والصقور في تلك الأيام. لكن أوساط المثقفين تنهدت مرتعبة.

يشتمل نص المسرحية على استنكار لهذه الحرب، أطلقه أحد أعضاء حزب الهويغ whig* الشباب في الكونغرس من ILLiniois، وقد دفع ثمن هذا الموقف حيث لم يعد انتخابه، ولكنه أصبح لاحقا أول رئيس جمهوري للولايات المتحدة الأمريكية.

قام عملاء أمريكا السريون بتهريب رئيس دمية للمكسيك من هافانا. أما الشعب المكسيكي، الذي واجه تفوق آلة الحرب الأمريكية، فقد قاوم على امتداد الطريق المؤدي إلى مداخل عاصمتهم، التي لم تسقط إلا عندما

---

*الهويغ whig : حزب تشكل عام ١٩٨٤ لمقاومة الحزب الديموقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية.

نفدت ذخائرهم. أما في جانب الغزاة فقد كان التوتر شديدا بين مبعوثي البيت الأبيض السريين والكونغرس المستنفر والقادة العسكريين الطموحين، الذين غدا أحدهم رئيسا للولايات المتحدة وآخر رئيسا للكونفيدرالية Confederacy.

وقد أبلغ كابتن في جيش الجنرال وينفلد سكوت أن القوات الأمريكية مارست همجية فظيعة. كانوا يطلقون النار على العزل لأسباب تافهة. «كان سلوكهم، تجاه السكان البائسين مرعبا، وكان دخولهم إلى كل قرية مفزعا كالموت».

وكتب شاهد عيان آخر، يوليس س. غرانت، في مذكراته: «لا أظن أن ثمة حربا أكثر فظاعة من تلك التي شنتها الولايات المتحدة على المكسيك. كنت أفكر على هذا النحو في ذلك الزمن، عندما كنت شابا، لكن لم تكن لدي الشجاعة الأخلاقية لأن أستقيل». وإذا ما كان لدى غرانت خيار الاستقالة، فإنه لم يعد مثل هذا الخيار متاحا لشبان الحروب اللاحقة.

وكما يقول سانتيانا فإن «أولئك الذين لا يتذكرون الماضي محكوم عليهم بمعايشته مرة أخرى». ولعل هذه المسرحية تنعش ذاكرتنا ونحن نعيش مرة ثانية ذلك الاحتجاج الشعري لواحد من رجال أمريكا الأكثر تحررا.

الزمن ملغى في زنزانة السجن هذه. فنحن لسنا واقعين في شرك الأحداث الماضية، بل نهتم بثورو الراهن، هذه الروح المتفجرة التي استشرفت مخاطر عصرنا بوضوح وقوة تفوق معظم ما يقدمه الشباب الغاضب الذي يكتب الآن عن زمننا.

ثورو لهو مفارقة آسرة

إنسانا كان، ولا يزال عملاقا يمحو ذاته

فطنا، نادرا ما يضحك

إنسان أحب بكل العمق والكمال حتى بدا كأنه لم يحب أبدا.

جيروم لورنس

روبرت بي. لي

الفصل الأول

(في وسط المسرح ثمة ما يُوحي بزنزانة سجن: سريران خفيفان بسيطان، كرسي، صندوق خشبي يستخدم بمنزلة درج للملابس، نافذة متخيلة عند مقدمة المسرح تطل على ساحة كونكورد.
يمتد بروز (لسان) إلى الأمام من دون مكان للتمثيل. الزنزانة نفسها في حالة فوضى.
باب الزنزانة، المتخيل، وسط مؤخرة المسرح.
السماء فوق ساحة كونكورد تشكل محيط الزنزانة. وثمة أصوات بعيدة لطير ليلي.
وعلى السريرين رجلان يرقدان من دون حراك. أشعة القمر المخططة تسقط عبر قضبان السجن على هنري، أما الرجل الآخر فيرقد في الظل على السرير الثاني.
في ضوء شتائي واهن، لا علاقة له بالزنزانة، يدخل رجل عجوز مستندا إلى ذراع زوجته.
يمشي بانتصاب مفتعل، مستخدما مظلته بمنزلة عكاز. الزوجة أرستقراطية أنيقة.
يحمل العجوز شالا على كتفيه. ولفاعا حول رقبته. يقف).

والـــــــــــدو: (فجأة، كما لو أن أحدا سرق منه حافظة نقوده) ما اسمه؟

ليديان: اسم من؟

والدو: لقد نسيت اسم أعز صديق عندي!

ليديان: هل كان لديك يوما صديق عزيز؟

والدو: الصبي، الذي ألبس الدجاجات قفازات.

ليديان: هنري؟

والدو: (بشكل مبهم) أظن أن اسمه دافيد.

(تسلط الإضاءة على أم هنري وهي تدخل إلى منطقة أخرى من المسرح بعيدة أيضا عن الزنزانة. حزينة تكوم شعرها الأشعث فوق رأسها).

الأم: دافيد هنري، أين ذهبت وماذا فعلت؟

(ينهض هنري عن السرير، عمره ٢٩ عاما، حليق، نظيف، عيون براقة وثياب نظيفة لونها بلون الغاية. إنه شاب حاد المزاج، ذو قناعات عنيفة وفردانية مدمرة).

هنري: لم أذهب لمكان ولم أفعل شيئا. لم أفعل أي شيء.

الأم: آه ياللسماء!

(تبتعد الأم عن خشبة المسرح) لويزا! دافيد هنري ذهب ولم يفعل شيئا مرة ثانية.

هنري: (مصححا) هنري دافيد.

الأم: دافيد هنري. تبدو غريب الأطوار مرة أخرى.

والــــــــــــدو: (من بعد) كان غريب الأطوار، بصعوبة كنت أفهمه.

لــــيــــديــــان: أحيانا.

الأم: أحيانا لا أعرف من أنت.

هـــــنــــــري: أنا نفسي، يا أمي.

(ينهض ويجلس على حافة السرير)

إن لم أكن أنا، فمن سأكون؟

الأم: عندما جرى تعميدك قالوا لك من تكون.

هـــــنــــــري: لم أستمع إليهم.

الأم: عند تنصيرك لم تصرخ أبدا ولا مرة. قال ربيلي الجليل: من الغريب ألا يبكي طفل عند تنصيره.

هـــــنــــــري: أتعتقدين أنني كنت أدري ما كانوا يفعلونه بي؟

الأم: لا أعتقد.

هـــــنــــــري: لذلك لم أبك.

والــــــــــــدو: لم أكن أعرف في حياتي سعيدا أشد حزنا منه.

لــــيــــديــــان: أعتقد أنه كان الرجل الحزين الأشد سعادة.

والــــــــــــدو: كان يعمل أيام الآحاد، ويرتاح بقية الأسبوع.

(يحدق في مظلته، ويقول بحيرة):

لمن هذه؟

ليديان: إنها مظلتك.

والدو: آه، أجل.

(يتفحص المظلة بشوق، كما لو كانت صديقا قديما فقده).

نعم، إنها... أوه... إنها...

(لكن ينسى كلمة مظلة من جديد).

نعم.

(تساعد ليديان والدو المشوش الذهن، بينما تبتعد الإضاءة عنهما).

الأم: لا مانع أن تكون دقيقا. لكن هل كان عليك، يا دافيد هنري، أن ترتكز على ذلك إلى هذا الحد؟

هنري: هنري دافيد.

الأم: أقصد فهم كل شيء بطريقة معكوسة، كيف تعلمت الأحرف؟

هنري: هل من الضروري أن تبدأ أحرف الهجاء بالحرف A؟ (ينهض واقفا). لماذا لا تبدأ بحرف z؟، حرف z اجتماعي جدا. يشبه طريق إنسان تائه في الغابة. بينما حرف A مربط وصلب. A هو بيت. أفضل --S-T-U V-W-X-Y-Z-Z

(ويسير بشكل متعرج خارجا من الزنزانة إلى اللسان).

الأم: آه، يا عزيزي!

هـنـري: أو لنخلطها معا. لنبدأ بـ H، لنبدأ بـ Q.
(والـدو، أصغر سنا وبقامة أكثر انتصابا، يتحرك باتجاه المقرأ حيث يسلط الضوء على وجهه فيتوهج وكأن نوعا آخر من الإشعاع الداخلي يصدر عنه. لقد وصل إلى ذروة خطابه).

والـدو: (بطريقة منمقة) لاتكن مطيعا مذعنا.
(يرى هنري والـدو، ينزل على ركبتيه ثم يجلس القرفصاء كمريد معجب عند قدمي صنم).

هـنـري: (كما لو أنه يسترجع (يتذكر) الوصية) «لا تكن.. مطيعا.. مذعنا..!».
(يدخل جون، يقف بجانب أمه المضطربة، كلاهما ينظر إلى هنري، بينما يجلس في ثبات كأنه لاعب يوغا، محدقا في الفراغ أمامه. يبدو جون أطول من أخيه، أنيس واجتماعي. يتحرك جون برشاقة ومرونة، على خلاف حركات أخيه الأصغر الموتورة والمفاجئة).

الأم: هل تدري ما مشكلة دافيد هنري، يا جون؟

جـون: ما هي؟

الأم: إنه مستمر في رفض الطاعة والإذعان!

جـــــــــــون: (يهز كتفيه باستهجان).
ياللجحيم، لقد درس في هارفارد.
الأم: (بانزعاج) لا تقل أبدا.
جـــــــــــون: هارفارد؟ آسف، يا أمي، لن أقولها ثانية.
(تغادر الأم، يتمشى ببطء تجاه أخيه، الذي لا يزال يجلس متحجرا. ينظر إلى هنري بشيء من الدهشة).
انظروا إلى هذه العينة النادرة.
والـــــــــــدو: (لا يزال التألق الحيوي على وجهه)
ثمة أمر لا متناه في الإنسان الخاص! وإذا ما استطاع إنسان مفرد التغلب على غرائزه على نحو صارم، وثابر على ذلك فإن العالم كله سيسير وراءه.
(تبتعد الإضاءة عن والدو وهو يخرج. وتركز الإضاءة على هنري وجون، كهرمان الحقول المشمسة).
هـــــــنـــــــري: (لا يزال مقرفصا يحادث نفسه).
... ويثابر على ذلك!
(يدور جون حول هنري ممازحا، كما لو أنه يتفحص عينة ما).
جـــــــــــون: هم! هل هذا وحشي أم داجن؟ أظنه وحشيا معروفا بتردده على الغابة والبرك. ريشة بليدة، ولكنه طير حكيم. شيء ما

أمريكاني أو ما شابه. وجدتها! إنها النوع يا أخي!

(تقطع هذا المزاح حالة الوجد عند هنري. ويقفز واقفا).

هنري: (معانقا أخاه) جون!

جون: أهلا بالعائد. كيف حال دماغك المحشو.

هنري: نسيت كل شيء بالفعل.

جون: على الأقل حصلت على الدبلوم!

هنري: لا، لم أحصل على الدبلوم!

جون: ولم لا؟

هنري: يطلبون دفع دولار. وأنا أرفض دفعه.

جون: لكن فكّر كم ستسعد أمك بذلك، دبلوم من هارفارد، معلق في إطار على الحائط.

هنري: لندع كل خروف يحافظ على جلده.

(يدفعه جون دفعة استخفاف على كتفه، ويتصارعان كصبيين ثم يجلسان جنبا إلى جنب مقطوعي الأنفاس).

يا جون، لقد تعلمت من رجل واحد - مع أنه ليس أستاذا - أكثر مما تعلمت خلال السنوات الأربع التي قضيتها في التبطل الأكاديمي والشخير في كامبريدج. والأغرب من ذلك أنه ليس بشخص غريب. كنت أعرفه وأراه، وأنت تعرفه. تسير إلى جانبه

في الشارع، تبادله التحية، إنه إنسان، جار مثل كل الجيران. لكن ما يكاد يتحدث هذا الرجل حتى يخيم الصمت فوق هارفارد بأكمله. فثمة نور يشع منه، يصدر عن وجهه. لكنه ليس بنور رجل واحد. أقسم، يا جون، إنه نور البشرية بأكملها!

جـــون: (باستهزاء) وثني!

(يضرب هنري براحة يده على الأرض)

هـنـري: هل هذه هي الأرض؟

جـــون: آمل ذلك.

هـنـري: (ينهض ببطء ويقف على قدميه)

لا. هذه أنت. وأنا.. والسيد إمرسون. والعقل الكوني.

جـــون: والخالة لويزا؟

هـنـري: نعم، الخالة لويزا. أيضا طقم الأسنان وكل شيء. (حاكا رأسه)

ليس من السهل أن نتخيل الخالة لويزا، تسبح في درب اللبانة. لكن هذه هي حال الأمور، وأنا واثق من ذلك.

جـــون: وإذا لم تستطع البقاء طافية هناك، تستطيع أنت الغوص وإنقاذها!

(يضحكان، ثم ينهض جون ويتكلم بمزيد من الجدية).

بعد أن أدرت ظهرك لهارفارد، ماذا تنوي أن تفعل؟

هـــــنـــــري: (متمشيا بخطوات موزونة)
حسنا أعتقد أنني بحاجة لفترة من التفكير. سأترك الكلية!

جـــــــون: لكن ماذا تريد أن تصبح؟ وهل لديك أدنى فكرة عن ذلك؟

هـــــنـــــري: نعم، أعرف بالضبط. أريد أن أصبح شبيها لرالف قدر الإمكان.
(ينظر الأخوان أحدهما إلى الآخر بجدية. تبتعد الإضاءة عنهما. تسقط الإضاءة على والدو وليديان. يظهر والدو بقامة شاب لكنه يبدو مرتبكا بينما يقلب صفحات مخطوط).

لـــيـــديـــان: كانت محاضرتك رائعة، يا عزيزي.

والـــــــــدو: أعتقد أني قرأت أحد المقاطع مرتين. وفي لحظة ما لم أنتبه إلى أين وصلت.

لـــيـــديـــان: لم يلاحظ أحد ذلك، يا عزيزي.

والـــــــــدو: إن لم يلاحظ أحد ذلك، يعني ذلك أن أحدا لم يكن يصغي إلي.

لـــيـــديـــان: لا بد أنهم ظنوك فعلت ذلك بقصد التأكيد.
(ينظر والدو إلى زوجته بريبة. ثمة شخير

قادم من السرير الآخر في الزنزانة. يعود هنري - خلال المحادثة بين ليديان ووالدو - إلى سريره في الزنزانة).

والـــــــدو: (يتحرك ثم يلتفت إلى زوجته).
هل شاهدت ذلك الشخص الذي كان في الصف الثالث؟ كان مغمض العينين، ألا تعتقدين أنه كان نائما؟

لـــيـــديـــان: كان يركز، يا عزيزي.
(مطمئنا قليلا، يخرج والدو مع زوجته. يتصاعد الشخير بينما يزداد ضوء القمر سطوعا في الزنزانة. يجلس هنري في سريره، ينظر إلى زميله النائم).

هـــنـــري: (بلطف) يا صديقي...
(يشخر زميله، ويفيق كما السكران).

السرير الآخر: هاها؟ لماذا...؟

هـــنـــري: يمتلك كل كائن بشري الحق في الشخير. شريطة ألا يتعارض مع حق الناس الآخرين القطعي في الشخير.
(يحدق الرجل في السرير الآخر)
لم أستطع سماع ما كان يجري.

السرير الآخر: لا شيء يجري هنا. الوقت منتصف الليل. سيطلع النهار، ويعود الليل من جديد والفرق ليس بكبير.

هـــــنـــــري: صمتا!

(هنري يصغي بكل كيانه. ثمة صوت بعيد لطائر ليلي).

هل تسمع ذلك؟

(يقترب من النافذة التخيلية عند مقدمة المسرح).

السـريـر الآخـر: «بيلي» لا أسمع شيئا. طير لا غير.

هـــــنـــــري: (بامتعاض) «طير لا غيرا» وهل تستطيع البكاء مثله أو أن تقتات على الأزهار، أو حمل السماء على جناحيك؟ يا صديقي، أنت وأنا لا نستطيع حتى الطيران.

(توقف قصير. يفرك بيلي عينيه).

بـــيـــلـــي: (مغمغما) فاتني شيء من حديثك. أعتقد أنني لم أستيقظ تماما.

هـــــنـــــري: (يمعن النظر فيه) لا أحد مستيقظ تماما. وإذا قابلت في يوم من الأيام إنسانا مستيقظا بشكل تام كيف أستطيع النظر في عينيه؟

بـــيـــلـــي: ماذا فعلت حتى سجنوك.

هـــــنـــــري: وماذا تظن؟

بـــيـــلـــي: حسنٌ.. إن شخصا مثقفا مثلك لا يمكن أن يكون قد ارتكب شيئا صغيرا. على الأرجح جريمة قتل أو أسوأ.

هـــــــــري: هذا ما فعلت، تحت أضوائهم، في الخارج
هناك في الظلام: قاتل أو أسوأ.
(مغيرا لهجته)
أنا هنا لأنني أرفض القتل.

بـــيـــلـــي: ومن أرادوك أن تقتل؟

هـــــــــري: المكسيك.

بـــيـــلـــي: من هو؟

هـــــــــري: هناك، حيث الحرب قائمة.

بـــيـــلـــي: أي حرب؟

هـــــــــري: (يسير بخطى بطيئة، مذهولا)
يا صديقي، قد تكون هذه الزنزانة المكان
الوحيد الذي ينعم بالسلام في الولايات
المتحدة.

بـــيـــلـــي: من يحارب من؟

هـــــــــري: أنا لا أحارب أحدا.

بـــيـــلـــي: ولا أنا.

هـــــــــري: ولكن لدينا رئيس خرج وأعلن حربا بنفسه
من دون أي مساعدة من الكونغرس أو أي
مساعدة مني.

بـــيـــلـــي: لأول مرة أسمع بذلك. (بحذر)
مع من أنت؟
(مشيرا بثبات إلى مقدمة المسرح، تجاه
كونكورد).

هل أنت ضدهم؟

هـــــــــــري: (يفكر) أنا واحد مني.

بـــيـــلـــي: هذا كلام ليس له معنى.

(بعيدا ثمة صراخ لطائر آخر، يشبه بكاء المحروم. يتقدم هنري مرة أخرى إلى النافذة التخيلية في مقدمة المسرح).

هـــــــــــري: هل تسمع ذلك البكاء؟ صديق قديم لي. إنه طير ليلي.

ليس عليه أن يرى أين يذهب، أو ربما يستطيع رؤية ما نحن غير قادرين على رؤيته أو.. اسمع...

(يصرخ الطائر من جديد. ينظر بيلي إلى هنري كما لو أنه شبه معتوه).

إنه يتوجه إلى البركة. هل صادقت مجنونا في يوم من الأيام؟

(ثمة توقف قصير).

بـــيـــلـــي: لا، ليس حتى الليلة.

هـــــــــــري: في أي لحظة تسمع عن رجل يصفونه بالجنون تذكر فقط أن هذا إطراء له، وقلة احترام كبير بحق الجنون. لا يشعل الجنون حربا، حكومته مثالية، كونها غير موجودة. إنه أفضل صياد سمك في العالم، ويسيطر سيطرة تامة على حواسه، شكرا لك.

(لا يزال بيلي غير واثق بشأن زميله الجديد في الزنزانة).

لماذا أنت هنا، يا صديقي؟

بـــيـــلـــي: أنتظر المحاكمة.

هـــنـــري: ماذا فعلت؟

بـــيـــلـــي: لا شيء.

هـــنـــري: وبماذا يتهمونك؟

بـــيـــلـــي: (بتذمر) بأنني أحرقت حظيرة

(بتحد)

لكن لم أفعل ذلك. كل ما فعلت أنني تسللت إلى داخلها لآخذ إغفاءة هناك، وأظن أن بعض الشرر قد تساقط من غليوني على القش و..

هـــنـــري: هل أخبرتهم بذلك؟

بـــيـــلـــي: وقت الإخبار هو المحاكمة. وهذا ما أنتظره منذ ثلاثة أشهر.

هـــنـــري: (وقف غاضبا) أقفل عليك هنا لثلاثة أشهر كاملة، بانتظار فرصة لتقول إنك بريء.

بـــيـــلـــي: هذه هي الحال.

هـــنـــري: فظيع!

(مناديا)

سام ستابلز! ستابلز!

(يوقفه بيلي عن الصراخ).

بـــيـــلـــي: لا تصرخ. أنا لست مثيرا للشغب. لا أريد سوى كسب قوتي، تحصيل بعض النقود لتبغي، وأستمر.

هـــنـــري: «أستمر» هذه الكلمات تقلب معدتي. يا سيد، ما اسمك؟

بـــيـــلـــي: بيلي.

(يعبر أحد الأشخاص ساحة القرية بشكل مغرور. ويصغي هنري بحذاقة حيوان).

هـــنـــري: يا سيد بيلي، أصغِ! ماذا تسمع؟

بـــيـــلـــي: لا شيء.. سوى وقع خطوات.

هـــنـــري: وقع خطوات من؟

بـــيـــلـــي: أعتقد أنها خطوات رجل ما.

هـــنـــري: أين يسير.

بـــيـــلـــي: كيف لي أن أعرف؟

هـــنـــري: أنا أعرف إلى أين يذهب، إنه ذاهب حيث يفترض به الذهاب، وبذلك يستطيع أن يكون حيث يفترض به أن يكون وفي الزمن الذي يفترض به أن يكون هناك. لماذا؟ لأنه بهذا الشكل سيكون مرضيا. يا إلهي نحن بلد كامل من الذين لا يريدون سوى أن يرضى عنهم الآخرون.

(مندفعا بوجهه بشكل صارم تجاه بيلي).

لكن لتكون مرضيا، عليك ألا تعارض مطلقا.

وحين لا تعارض أبدا فإن ذلك لا يشبه سوى أن تقوم بالشهيق من دون أن تزفر أبدا! إن الإنسان يمكن أن يختنق من المداهنة.

(يتمشى بخطوات بطيئة)

يمكن أن تكون الحيتان الكبيرة انتهكت بعض التشريعات، والله يعلم أنها ستنهض ذات يوم وتتكلم من دون نهاية عن الخير العام؟

(بحماس عنيف)

لعنة على الخير العام! أعطني شيئا ما عظيما ليس عاما!

بـــيـــلـــي: لا أفهم ماذا تقول، لكن من الرائع سماع طريقة كر الكلمات!

هـــنـــري: سأقولها بلغة أنكلوساكسونية بسيطة. يا سيد بيلي: أنت إنسان غير عادي. لقد كنت تحتج على باني الحظيرة الذي حبسك داخل الألواح الخشبية وساعات العمل النهارية.

بـــيـــلـــي: لا تقل ذلك لأي قاض كان! إن كنت أحرقت الحظيرة فإنهم سيلقون بي في السجن.

هـــنـــري: يا صديقي، أين تظن نفسك؟ يمكن تماما أن تكون فعلت الفعل الذي لم ترتكبه.

بـــيـــلـــي: لكنني لست شخصا مغرما بإحراق الأشياء!

هـــــنــــــري: (بتفكر) هذا حسن لك. إن النار في الداخل تحرق أشد من النار في الخارج، وإن قناعة الإنسان لهي أقوى من لهيب أو رصاصة أو صخرة.

(بتهالك على سريره، متفكرا).

أفكر إذا كانوا سيبقونني هنا لثلاثة أشهر أنتظر المحاكمة! فمن سيقتلع الأعشاب الضارة من مسكبة الفاصولياء الخاصة بي؟

(ضحكة صغيرة).

كان باستطاعتي، طبعا، تكليف شخص آخر للقيام بذلك.

بـــيـــلــــي: إن التحادث مع شاب ذكي مثلك شيق. أراهن أنك تعرف حتى الكتابة.

هـــــنــــــري: أحيانا.

بـــيـــلــــي: أريد أن أكون كاتبا. وإذا استطعت كتابة اسمي، فسأموت سعيدا.

هـــــنــــــري: ستكون فعلت أفضل من معظم الكتاب. اسم بيلي ليس صعبا.

بـــيـــلــــي: أعرف بدايته، بدايته هي بداية أحرف الهجاء معكوسة!

هـــــنــــــري: (ينحني على الأرض)

سوف أعلمك الأحرف الباقية!

(يسلط الضوء على أم هنري لوقت قصير)
الأم: آه، دافيد هنري خبير في قلب الأشياء إلى الوراء!

(تبتعد الإضاءة عنها. يكتب هنري بإصبعه على غبار الأرضية ويجثو بيلي بتوق على ركبتيه إلى جانبه).

هنري: A...B...

بيلي: هذا كل ما أعرفه.

هنري: من هو بيلي؟

بيلي: I «أنا»

هنري: هذا هو حرفك التالي I؟

بيلي: كيف تكتبه؟

هنري: (يرسم بإصبعه خطا على الغبار).
ببساطة إنه مثل عمود التعريش الذي يصنع للنبات. ممتد نحو الأعلى والأسفل.
«B-A-I» هكذا تكون بلغت منتصف الطريق في اسمك. من ثم أدر الزاوية، هكذا:
ها هو حرف «L» B-A-I- «أدر الزاوية».
والآن ها هو حرف صعب
(ينظر بعينين شبه مغمضتين إلى بيلي الجاحظ العينين).
كم شعرة لديك؟

بيلي: ما يكفي للتمشيط.

هـــــنـــــري: تمـام. بيلي بحاجة إلى مشط لتمشيط شعره.
(راسما على الغبار) ها هو «E» وبعد أن تنتهي من ذلك، أنت تريد شجرة وارفة لتجلس تحتها. لذلك تصنع عمودا للتعريش ذا أفرع في رأسه وهذا هو حرف «Y»
(يرسمه) وها هو اسمك.

بـــيـــلـــي: يا إلهي! بسطت الأمر!
(بينما يرسم الأحرف على الأرض الوسخة، يستدير نحو هنري، سائلا الموافقة).
[شجرة - مشط - أدر الزاوية - عمود - B-A]

هـــــنـــــري: أحسنت! تستطيع الآن كتابة اسمك! «بيلي»!

بـــيـــلـــي: سأغادر هذا السجن شخصا متعلما،
(بجدية) لابد أنك أستاذ!

هـــــنـــــري: أن تكون أستاذا كأن تكون في السجن، ما أن يسجل عليك لن تستطيع التخلص منه أبدا.
(يأخذ هنري الكرسي من الزنزانة ويضعها عند الحافة القصوى للبروز. ويختفي بيلي على سريره في الظل، مكررا تهجئة اسمه من الأحرف المرسومة على الأرض).

(يتحول هنري أستاذا شابا، يتوجه إلى القاعة كما لو كانت ثمة قاعة صف مملوءة بأطفال غير مرئيين).

أيها التلاميذ، ارفعوا أيديكم أمامكم، هكذا.

(يتلفت حوله ليرى أنهم فعلوا جميعا مثله: مبقين أكفهم مفتوحة أمام الوجه على مسافة ثمانية عشر إنشا).

هل ثمة شيء بين أنفي وأصابعي؟ لا شيء، يا أصدقاء الشباب، بلى هناك الملايين من الجزيئات الناعمة المتراقصة، تدور إلى الأمام والخلف، تتداخل في ما بينها وتتقافز! ثمة نجوم وعوالم وكواكب وأكوان، هنا تماما!

(ينفخ نفخة هواء في هذا الحيز الفارغ، ثم يشبك أصابعه بعضها مع بعض. يدخل بول، وهو رجل من المدينة إلى قاعة الصف بغرور ممسكا بيده خيزرانته المفضضة الرأس، ويصغي إلى ختام ملاحظات هنري لقاعة صفه).

والآن، هاكم اللغز! كيف لنا أن نعرف أن هذه الجزيئات موجودة فعليا؟ كيف؟

(يضرب هنري كفا بكف ضربة سريعة عبر

الفراغ الظاهري أمامه).

بـــــــــول: فعليا كيف؟

(يفاجأ هنري، يستدير، يرى الزائر المغرور، عندها يتوجه إلى الصف).

هــــنــــري: آه، لدينا ضيف مفاجيء في قاعة الصف اليوم. رئيس إدارة مدرسة كونكورد «ديكون نحميابول»

بـــــــــول: لست هنا لأقطع سير درسك المجدول.

هــــنــــري: شكرا سيدي. إن هذه الجزيئات...

بـــــــــول: مراقب فقط. هذا أنا.

(يزداد هنري تحسسا. يطوي بول ذراعيه وراء ظهره، وخيزرانته تتدلى مثل ذيل وراءه، يبدأ هنري بالكلام ثانية، ولكن بول يقاطعه).

هــــنــــري: اكتشف العلماء..

بـــــــــول: حاول أن تنسى أنني موجود في القاعة.

هــــنــــري: (ينظف حنجرته) سأحاول يا سيدي.

(متوجها إلى صفه)

في السنوات الأخيرة اكتشف العلماء أن..

بـــــــــول: لماذا لا أرى أي كتب مدرسية مفتوحة أمامكم؟

هــــنــــري: نحن.. نقطف توت العليق، يا سيدي.

بـــــــــول: ماذا؟

هـــــنـــــري: نتسلق من أجل الأفكار بالطريقة نفسها التي نخرج فيها بحثا عن توت العليق في الغابات.

بـــــــــول: هذه الطريقة لا تعلم أي شيء. كل ما عليهم معرفته هو التهجئة الواضحة في النصوص المدرسية المعتمدة.

هـــــنـــــري: لا، يا ديكون بول؟ بوتر الشاب، هنا..

(مشيرا إلى تلميذ في الصف الأول).

سألني في الحال إذا كنت أنا مؤمنا فعليا بأن الله موجود؟

بـــــــــول: (موجها كلامه إلى بوتر)

إن مسائل اللاهوت، يا فتى، تناقش مع المعلم الروحي.

هـــــنـــــري: سبق لبوتر أن سأل «معلمه الروحي»، لكن الكاهن، أسماه ملحدا! لارتكابه الخطيئة الأولى وهي الشك.

(إلى التلاميذ)

يا سيد بوتر، سأحاول الإجابة انطلاقا من إجابتي عن السؤال نفسه، وقد طرحه عليّ أحد الشباب المزعجين والفضوليين

بـــــــــول: (بتدقيق) هل ستكون إجابة لاهوتية؟

هـــــنـــــري: (ببطء): إنه رأي إنساني.

(مرة أخرى إلى التلاميذ، لكن بطريقة عقلانية).

إذا دخلت دكانا وشاهدت مجموعة عجلات وتروسا ومسننات صغيرة ونوابض مصقولة بشكل جيد لساعة مرمية على مقعد هناك، وبعد فترة وجدتها مركبة بعضها مع بعض بشكل دقيق وتعمل في تناغم لتحرك العقارب على المينا وتبين الوقت، هل تعتقد أن هذه القطع دخلت الحركة معا بمحض المصادفة العمياء؟ بالتأكيد لا. أؤمن بوجود فرد ما يحمل الفكرة والخطة والمقدرة هناك. الذكاء! الذكاء!

(يتقدم والدو في رداء أكاديمي من المنبر في منطقته).

والدو: الذكاء يحكم الكون. وعبر طقوس العبادة هذه سنحتفي بامتناننا لهذا الذكاء. لنصلِّ.

(خفض رأسه، وراح يصلي بصمت)

هنري: لا أعتقد أن الشمس المشرقة فوق كونكورد هذا الصباح كانت مصادفة. آمل أن توافقني على ذلك، يا سيد بوتر. وأنت أيضا يا ديكون بول. إنه كان شروقا رائعا.

(بشكل توكيدي).

فجميعنا مرتبطون يا سيد بوتر، وعلى علاقة متبادلة مع العقل الكوني.

بـــــــــول: هذا هو الإلحاد!

«ليس من السهل على هنري أن يتمالك نفسه»

(تبتعد الإضاءة عن والدو، لكنه يبقى على المنبر في حالة تأمل).

هــــنـــري: (بنعومة) هل يعني ذلك كله أي شيء لك، يا بوتر؟

بـــــــــول: لا يعني شيئا لي. سوف تدرس الكتب المدرسية، يا سيد!

هــــنـــري: أرى أن نصوص كتبكم تعود للقرن الماضي بشكل ما.

بـــــــــول: تراها كذلك!

هــــنـــري: نعم، يا سيدي!

بـــــــــول: ولذلك اخترت تجاهل الكتب التي حرّمتها لجنة المدرسة؟

هــــنـــري: لدى تلاميذي داء الفضول الذي أخشى أن تحريماتكم لن تشفيه.

(ثمة زوج ضحكتين شابتين اختنقتا بشكل سريع. يبدو أنهما صدرتا عن الصف. يستدير بول بنظرة صارمة تجاه التلاميذ المتخيلين).

بـــــــــول: (بطريقة آمرة).

صمتا! عليكم إظهار الاحترام للأكبر

منكم! وأنت، يا ناظر المدرسة، ستعلم وفق النصوص المعتمدة بشكل دقيق! وليس قطاف توت العليق!

هـــــــنـــــــري: (بعد برهة توقف)

أيها التلاميذ. سمعتم ما قال ديكون. سوف نعتمد على الكتب المعتمدة. أبقوا نظركم على الصفحات، لا تلتفتوا إلى ورقة نبات أو فراشة لم تسمح بها المدرسة. وعليكم ألا تصغوا إلى صرصور ولا تشتموا وردة لم توافق عليها لجنة المدرسة. من الأفضل لكم صم آذانكم وسد أنوفكم، مع أنه سيكون عليكم عندها إنبات يد إضافية للقيام بذلك.

(ويقوم بحركات إيمائية تعبر عن صعوبة تغطية أذنيه وأنفه، ومن ثم أذن واحدة فالأذن الأخرى وأنفه على التوالي. وخلال ذلك تفلت ضحكات عفوية من قاعة الصف غير المرئي عبر مكبر للصوت مثبت عند أسفل البروز).

بـــــــــــــول: (يتقدم إلى مقدم المسرح)

سكوت! هكذا تظهرون الاحترام للبلدية التي تغذي عقولكم؟ «يضرب الأرض بخيزرانته ذات الرأس المفضض، تنتفخ الأوردة في جبهته». عليكم إبداء الاحترام والتهذيب!

(تستمر الضحكات. يتوجه بول إلى هنري)
قل لهم أن يسكتوا، يا سيد!
(بمجرد أن يشير هنري بيده يتوقف الضحك).
لابد أن أقدم تقريرا مفصلا إلى لجنة المدرسة حول غياب الانضباط في هذا الصف، وأنا عازم على دعوة اللجنة إلى جلسة استثنائية هذه الليلة بالذات.
(يظهر جون، وكأنه يخاطب عقل هنري).
جون قدِّم للرجل درهم اعتذار، إنه يستحق سنتين على إذلاله!

هـنـري: ولماذا علي أن أفعل ذلك!

جـون: كي لا يفصلوك من المدرسة. وإذا بقيت عنيدا فما الذي سيحصل عندما يطرح بوتر أسئلته؟
(فترة هدوء، يعتذر هنري بصعوبة بالغة، يأخذ نفسا عميقا، يستدير لمواجهة بول).

هـنـري: (بصعوبة بالغة) يا ديكون بول، أنا آسف لأنك أمضيت وقتا مرهقا إلى حد ما في قاعة صفي هذا اليوم. أنا لم أقصد الإساءة إليك أو إلى لجنة المدرسة.

بـول: حسنٌ، نحن هنا نتوقع درجة معينة من الفوضى من قبل رجال هارفارد. وإن

اعتذارك يكشف أنك تعترف بهذا العيب في شخصيتك. ولكن هارفارد لا تمثل عذرا مقبولا بالنسبة إلى تلاميذك. فيجب أن يُعاقبوا.

هــــــــنــــــــري: سأعلمهم.

بــــــــــــــــول: ستجلدهم!

هــــــــنــــــــري: (مذهولا)
ماذا؟

بــــــــــــــــول: ستجلدهم؛ لأنهم أظهروا عدم الاحترام للسلطة.

هــــــــنــــــــري: (بتحد) لا، يا سيدي!

بــــــــــــــــول: ماذا قلت؟

هــــــــنــــــــري: قلت «لا» أنا لا أؤمن بالعقاب الجسدي.

بــــــــــــــــول: ما تؤمن به لا علاقة له بنا. أنا لم أسألك عن رأيك كمدرس، اجلدهم!
(يتردد هنري)

هــــــــنــــــــري: لماذا؟

بــــــــــــــــول: إنها سياسة. يُجلد التلامذة المذنبون.

هــــــــنــــــــري: وماذا سيعلمهم ذلك؟

بــــــــــــــــول: الطاعة. هذه صفة أساسية يجب أن تتوافر لدى جميع المرؤوسين، سواء أكانوا تلاميذ في قاعة صف أم جنودا في ساحة معركة.

هــــنــــري: لا يتدرب الطلاب ليصيروا جنودا. ليس طلابي على الأقل.

بـــــــول: هـؤلاء الفتيان ليسوا لـك. لقد أرسلهم مواطنو كونكورد دافعوا الضرائب، متوقعين منك الالتزام بالنظم التي وضعتها إدارة المدرسة.

(صمت، هنري لا يتحرك).

قم بواجبك، أيها المدرس ثورو، إذا كنت تريد المحافظة على مركزك في هذا المجتمع.

(يحل هنري حزامه ببطء، يلوح به، يخطو خطوة قصيرة تجاه بول، الذي يتراجع إلى الخلف معتقدا أن هنري ربما سيجلده. ومن ثم يستدير هنري إلى الأمام، باتجاه صفه).

هــــنــــري: (بمرارة) ليتقدم ستة من بينكم. أي ستة، لينهضوا، ليس مهما من يكونون. أنتم جميعا، كل واحد منكم متهم باقتراف جريمة الضحك والفضول والتعبير الصادق عن النفس! بيغلو!

(يمسك هنري الكرسي، يقلبه كما لو كان طفلا يجثو على ركبتيه. عيناه مغمضتان، يسوط هنري الكرسي بعنف وبشكل مؤلم) كوليمان!

(مرة أخرى يسوط الكرسي)

لورنغ!

(سوط آخر على الكرسي)

مكلّين!

(يجلد الكرسي مرة أخرى، بشكل أعمى، لاعنا ما يقوم به).

هندرسون!

(سوط آخر، من ثم تردد).

بوتر!

(كان هذا السوط هو الأكثر إيلاما. يدير رأسه جانبا. لقد انتهى الآن، يفتح هنري عينيه منهكا، يحدق بالحزام كما لو كان شيئا مقرفا وتافها. ويقذفه بعيدا عنه، خارج منصة المسرح).

بـــــــول: أهنئك. أنا سعيد كوني الآن قادرا على إخبار لجنة المدرسة بأن ناظر المدرسة ثورو...

هـــــنــــري: أدار السر المقدس لقاعة الدرس واستقال «كمعلم» في مدارس كونكورد العامة!

(يتراجع بول بجمود إلى الظلال ويتوارى، يسلط الضوء على المنبر ويضيء في توهج كامل على والدو).

والـــــــدو: (وسط صراع داخلي).

لكن لا أستطيع الخضوع للطقس، لا أستطيع القيام بالشعائر التي يطلبها مني هذا المحفل، لأنني فتشت الكتاب المقدس ولم أعثر على ما يفرض علي التكرار اللانهائي لشعائر العشاء الأخير. لا أستطيع فكريا، أو عاطفيا أو روحيا إدارة هذا السر المقدس. ولذا أستقيل من منصبي كراع للكنيسة التوحيدية الثانية في بوسطن.

(يضع هنري الكرسي - «تلميذه» - من جديد داخل الزنزانة، ويقترب تحت الضوء بشكل حزين).

هـــــــنـــــــري: لن أُدرِّس بعد الآن أبدا.

والــــــــــــدو: لن أعظ بعد الآن أبدا.

(الإضاءة على الأم وجون)

الأم: هل لاحظت يا جون، مقدار التشابه بين كلام إمرسون وابننا دافيد هنري؟

(يلاحظ جون وجود هنري المغموم ويتقدم منه).

جــــــــــــون: (بهدوء) المدارس لا تحتاج إلى لجنة مدرسية أو أوصياء أو حكام أو خشابين أو كتب مدرسية معتمدة. كل ما تحتاجه المدرسة عقل يرسل وعقول تستقبل.

هـــــــنـــــــري: لا يستطيع أحد أن يعلم شيئا لأي كان.

جـــــــــــون: (مصادقا) بالطبع لا يستطيع. علمهم كيف يعلمون أنفسهم.

هـــــــنـــــــري: (متحمسا للفكرة) إن مدرستنا الخاصة يا جون ليست أبنية. إنها خارج سجن قاعة الصفوف. وكل ما تحتاجه هو السماء!

(تتوهج الستارة السكلورامية بالأزرق وغيوم مُضاءة بالشمس. وثمة طيور تطلق صراخها وتحلق، وإحساس عظيم بالحرية).

الكون يمكن أن يكون قاعة درسنا، يا جون، عالم ريف كونكورد الشاسع والرائع. «يضع هنري قبعة من القش بسرعة على رأسه ويدس دفتر الملاحظات تحت إبطه. وثمة دفق من الضوء على مقدم المسرح. ويبدو هنري كأنه يتمشى عبر الحقول المترامية الطافحة بضوء الشمس. يلحقه جون حاملا منظاره».

أيها التلاميذ!

(التلاميذ، على الرغم من أنهم متخيلون، من المفترض أن جميعهم حوله).

راقبوا! لاحظوا! تملوا!

(يأخذ المنظار من جون ويستعمله كمؤشر)

انظروا ما يجري من حولكم. هل خطر على بالكم أي فكرة حول مقدار الأشياء التي

تحدث في مرج هيوود؟ أراهن حتى هيوود
نفسه لا يعرف ذلك.
(كأنه اكتشف شيئا ما).
لقد أزهرت نبتة خف السيدة!
(يقلب صفحات دفتر ملاحظاته)
في العام الماضي لم تزهر قبل يوم الغد!
(ويدون كلمة في دفتر ملاحظاته).
هل تدركون مدى قلة الناس الذين يعرفون
ما اكتشفناه حالا؟ أن تعثر مصادفة على
زهرة جديدة في صباحها الأول! معظم
سكان كونكورد مشغولون جدا، يأكلون
الوجبات ويذهبون إلى مكاتب البريد!
(تقف فتاة رائعة الجمال - تقريبا في سن
العشرين - عند حافة الضوء، تراقب،
تصغي مسحورة).
آه، كم سأحزن وسآسف لو أنني جئت
إلى هذا العالم ذات مرة ولم ألاحظ شيئا
رائعا. ولم أكن مثل أمير متنكر خرج ليعاين
ويراقب.
(ناظرا نحو أخيه بشكل جانبي)
يا جون هل أنت أمير متنكر؟
جـــــون: بالطبع.
(يسير هنري ببطء في المرج)

هنري: ألن يكون مريعا لك أن تعيش في العصر الذهبي كرجل مأجور؟ أو أليمبوس زائر، تذهب للنوم بعد العشاء وتغفل تماما حديث الآلهة. أو تصور أن تعيش في يهودا قبل ١٨٠٠ عام من دون أن تعرف أبدا أن المسيح كان معاصرا لك، ماذا تفعلين؟

(يصل أثناء حديثه وهو يتمشى، مثل الفلاسفة المشائين، وجها لوجه مع الفتاة، التي أخرجت دفتر ملاحظاتها، واستغرقت في الكتابة، وقد ارتجفت لسؤاله)

إيلين: أنا أكتب.

هنري: لا تتذكري ما قلت فقط. تذكري ما كنت أتحدث عنه.

(بشكل مطيع تغلق دفتر ملاحظاتها. يسأل هنري جون بصوت منخفض)

من هي؟

جون: فتاة.

(يحدق كلاهما فيها، متأثرين)

هنري: واحدة منا؟ أقصد هل تنتمي إلينا؟ هل هي أحد تلامذتنا؟

جون: (يمعن النظر إليها)

لا أمانع. وأنت هل تمانع؟

هنري: (عائدا إليها)

المعذرة يا آنسة، إنما أعتقد أنك أكبر بقليل من أن تكوني عضوا في صفنا.

جون: يا هنري، سيدة شابة لا تكون أبدا كبيرة جدا.

هنري: ما أقصده بدقة أن معظم تلامذتنا في عمر الثانية عشرة أو حول ذلك. بينما عمرك أظن أكبر من ذلك بقليل.

(تضحك الفتاة)

إيلين: هل لذلك أهمية حقا؟ لا أريد أن أزعجكم أو أطرح أي أسئلة.

هنري: ولم لا؟

إيلين: أخي الصغير هو الوحيد الذي يملك الحق في طرح الأسئلة، إنه يدفع رسم التعليم.

هنري: (مشيرا بإصبعه نحوها)

أنت سيويل.

جون: كيف عرفت؟

هنري: إذا تمكنت من تحديد نبات خف السيدة، أقدر على تحديد سيويل.

جون: في قاعة الصف هذه ثمة قاعدة واحدة فقط: لا وجود للقواعد. ولذا نرحب بالطبع بك عندما تريدين المجيء في أي وقت تودين.

إيلين: ورسوم التعليم؟

جـــــــــون: لقد دفعتها كاملة، فلو كنت مقيتة، لطلبنا تسديدها. أو اثني عشر أو حول ذلك.

(تضحك إيلين وجون أما هنري فلا يضحك، إنما ينظر إليهما فقط)

إيــــلــــين: أنت جون ثورو.

(ملتفتة)

وأنت السحابة الراعدة، هنري.

(يقطب هنري)

هـــــنـــــري: ما تجربتك التعليمية السابقة؟

إيــــلــــين: أنهيت المدرسة.

هـــــنـــــري: يا إلهي.

إيــــلــــين: نجوت.

هـــــنـــــري: ألفت انتباهك، يا آنسة سيويل، أنا وجون لا ندع أحدا ينهي. لا أحد يغادرنا ناعم السطح مثلما جاء. إننا نجعل الوعي خشنا ونحك الطحالب عن العقول الشابة.

إيــــلــــين: من فضلك، يا سيد ثورو عد إلى تلامذتك، لقد قاطعتكم.

هـــــنـــــري: طبعا! إن كل حدث مبدع، يقع في هذا العالم، هو نوع من المقاطعة - حدث غير متوقع ولم يخطط له. والضائعون هم وحدهم البشر الذين يحصلون على مكان ممتع. ولذا فإن الكواكب رفاق طريق أفضل بكثير من

النجوم، تبقى في تجوال جيئة وذهابا في السماء فلا تعرفين لها مستقرا.
(متوجها إلى صفه غير المرئي)
يا تلاميذ لدينا شخص آخر من عائلة سيويل، أخت إدموند.
(وإلى الفتاة)
ما اسمك الأول؟

إيلين: إيلين.

هنري: إيلين، سيويل. كتابنا المدرسي، يا آنسة سيويل، هو مرج هيوود.
(إلى الصف)
في هذا المرج وحده، ثمة ثلاثمائة صنف من الأعشاب المتمايزة والمختلفة. لقد صنفتها بنفسي. انظروا إلى الأسفل، ستقولون: «هذا عشب والعشب عشب»، إنه أمر مضحك.
لقد فاتكم التنوع الرائع للمشهد. هناك عشبة الحمل وعشبة الحلوى وعشبة السحات وذنب الثعلب وصبية لندن وإبرة إبليس والريشة وعشبة الجاموس وعشبة التيموثية وعشبة البيادر وعشبة النفلة الكافية بمفردها لتحلية بطون جميع الحملان منذ الخليقة.

(أخرجت إيلين دفتر ملاحظاتها وأخذت تكتب. فجأة ينحني هنري إلى الأسفل ويتطلع إلى شيء ما، وينتزع ورقة عشب متخيلة)

يا جون، انظر إلى هذه. ماذا تعرف عنها؟

جــــــون: لم أرها من قبل أبدا.

هــــنــــري: إنها عشبة دموع يعقوب. لم أرَ منها هنا أبدا. أيها التلاميذ، انتبهوا، نحن وسط تنوع من الأعشاب يبلغ عددها ثلاثمائة وواحد من الأعشاب التي خلقها الله.

(ينقل هذه المعلومة في دفتر مذكراته. ومن زاوية عينه يرى إيلين تكتب)

تكتبين ثانية؟

إيــــلــــين: فقط «دموع يعقوب».

هــــنــــري: ولماذا؟

إيــــلــــين: عندما تذهب إلى المدرسة، يفترض بك أن تسجل كل الأشياء حتى لا تنسى ما تعلمته.

هــــنــــري: إذن فدفتر الملاحظات هو من يتذكر، وليس أنت.

إيــــلــــين: وأنت تحمل دفتر ملاحظات أيضا.

هــــنــــري: ألبس قبعة قش مضحكة أيضا. لا يعني هذا أن عليك ارتداء قبعة مضحكة.

لسوف تبدين مضحكة بها. وكذلك الأمر فهذا المرج محشو بالأعشاب المتماثلة، كل واحد منها تقليد للآخر. جميعها متمايزة! فاللحاق بالقائد ليس اللعبة التي نلعبها هنا!

أيتها السيدة الشابة كوني ما أنت!

جـــــــون: (بصوت منخفض)

لا تصرخ بها يا هنري.

إيــــلــــين: لن أدون شيئا، أعدك، ولا أي ملاحظة.

هـــنـــري: لم لا؟ إذا رغبت في أخذ الملاحظات، ليكن. لكن ليس لأنني أفعل ذلك، أو لأنني طلبت ذلك.

(بلطف) يا آنسة سيويل، أريدك أن تكوني أنت، وليس فكرتك عما تظنين فكرة شخص آخر عنك.

(ملتفتا إلى تلاميذه)

أيها التلاميذ، ربما أوضحت لنا مقاطعة الآنسة سيويل جوهر الكتاب المدرسي الذي نسميه مرج هيوود. أعشاب كثيرة تحت أقدامنا، وسماء لا متناهية فوقنا.

(يقلب بإبهامه دفتر ملاحظاته)

وإذا دونت ملحوظة حول بريق السحاب أو ضوء الشمس المنعكس على أجنحة الطير،

لا تكتبوا، فقط لأنني أكتبها أنا. لا تقلدوني كالقرود أو تتشبهوا بي.
(مؤكدا، لكن بهدوء)
إذا رغبتم في مجرد الإصغاء إلى السماء، أو شمها أو لمسها برؤوس أصابعكم، افعلوا ذلك، أيضا.
و(بقناعة كبيرة)
لأنني أعتقد أنه يجب وجود أفراد مختلفين في هذا العالم قدر الإمكان. لذلك ليكن كل واحد منكم دقيقا جدا في اختيار طريقه الخاص والسعي فيه.
(مع تعتيم الإضاءة على الحقل المشمس، يعود هنري إلى زنزانته المعتمة)

بيلي: (بمرح)
بيلي، بيلي، بيلي أستطيع الكتابة! انظر ! انظر إليّ، أعمل ذلك كله بنفسي...!
(يبدأ بيلي من جديد برسم اسمه في الغبار على أرضية الزنزانة ويمحو هنري بمرارة نماذج الأحرف في الغبار بقدمه. يرفع بيلي نظره متحيراً).

هنري: لا تتعلم كتابة اسمك.

بيلي: تعلمت.

هــــنــــري: (بشكل مشاكس) انسه. كتابة الاسم يمكن أن تقود إلى كتابة جمل. والشيء التالي الذي ستقوم به هو كتابة فقرات، ومن ثم كتب، وعندها سوف تتورط في مشاكل مثلي أنا!

بــيــلــي: (باندهاش)
أنت كاتب؟

هــــنــــري: (لاوياً فمه باشمئزاز)
نعم.

بــيــلــي: لو عاشت أمي لتراني أجلس في زنزانة مع رجل كتب كتابا، أووو... هاي، كم ستكون فخورة بي. قل لي، هل تركب جميع الكلمات بنفسك.

هــــنــــري: آه، من وقت لآخر أدون كلمة أو كلمتين قيلتا من قبل. والمسألة الأساسية هي التقاط الكلمات الصحيحة ووضعها في الترتيب الصحيح.

بــيــلــي: لا بد أن في ذلك ثروة. يقال إن ثمن بعض الكتب أكثر من دولار!

هــــنــــري: لكنها لم تكتمل بعد. يجب وضع أرجل لها. أما الآن فإن الكتاب يجلس في المتجر، عليه انتظار أحد ما ذي أرجل ليدخل المتجر ويجده.

بــــيـــــلـــــي: (باندهاش) أواه!

(أخـرج بيلي التبغ من معطفه العتيق في الصندوق، هذا العمل يحرر الصندوق من أجل المشهد التالي).

هــــــنــــــري: كتابي الأول - وكذلك كتابي الأخير - كان مـن الـنـموذج الـثـابـت جـدا. لقد طبع منه الناشر ألف نسخة، وأعطاني أفضلية في عملية الدفع من أجل الطباعة. هكذا فإن جميع النسخ التي لا تباع تعاد للمؤلف. وجميعها جاءت راكضة إلى بيتي، بأرجل أو بلا أرجل.

(بجدية)

والآن، يا سيد بيلي، لدي مكتبة تحتوي على حوالي تسعمائة كتاب، سبعمائة منها كتبتها بنفسي.

(مشيرا إلى الأحرف المداسة في الغبار)

يا صديقي، اترك وظيفتك الأدبية.

(فجـأة، يأخذ هنري صنـدوق الثياب من الزنزانة، ويقلبه في الهواء رأسا على عقب، ويجره إلى البروز في منصة المسرح. يأتي جون ويساعده في المركب).

هــــــنــــــري: يا جون، أفكر اليوم أن نطوف البركة كاملة، وإذا كـان هـذا الـقـارب ليس كبيرا ليسع

الصف بأكمله، فأنا سوف أصطحب الرحلة الأولى وأنت تتكفل بالرحلة الثانية.

جـــــــــون: إنه واسع بما يكفي.

هـــــنـــــري: ضيعنا تلميذا آخر.

جـــــــــون: لا، بل ضيعنا تلميذين.

هـــــنـــــري: (بشكل دفاعي) حسنا التعليم يجب ألا يكون عملية جماهيرية!

جـــــــــون: معنا، لن يكون.

هـــــنـــــري: إن مشروع مدرستنا بالكامل يقوم على أن قاعة الدرس تنمو أكبر فأكبر.

جـــــــــون: بينما تعداد الصف أصغر فأصغر.

هـــــنـــــري: كم عدد من تركناهم فعليا؟

جـــــــــون: (متجنبا نظراته)

أخذت أمي اسم عائلة جديدة، انتقلت لتوها إلى كونكورد.

هـــــنـــــري: كم عدد الأطفال؟

جـــــــــون: صبراً يا هنري،. الزوجة حامل.

(جون يهم بالمغادرة)

هـــــنـــــري: إلى أين أنت ذاهب؟

جـــــــــون: عائد إلى معمل أقلام الرصاص.

هـــــنـــــري: لماذا؟

جـــــــــون: سيكون مضحكا إلى حد ما أن يكون عدد المعلمين ضعف عدد التلامذة.

هـــنــــري: بقي واحد فقط؟

(يغادر جون ويبقى هنري وحيدا، عابسا، يرفس الصندوق «القارب» وتظهر إيلين)

إيــــلـــين: السيد ثورو....؟

(يلتفت هنري)

هـــنــــري: صباح الخير.

إيــــلـــين: أنا، أنا جئت لأخبرك بألا تنتظر إدموند. تابع الدروس من دونه. هو، أواه، لن يأتي اليوم.

هـــنــــري: آمل ألا يكون مريضا؟

إيــــلـــين: لا.

(توقف قصير)

إنه أبي.

هـــنــــري: مريض؟

إيــــلـــين: ليس بالضبط. الأب قلق لأنه يعتقد أن إدموند تعلم أكثر من اللازم.

هـــنــــري: أخبار جيدة. كنت أظن أن إدموند كسول قليلا. بالمقارنة مع التلاميذ الآخرين. أي، عندما يكون لدينا تلاميذ آخرون لمقارنته معهم.

(برشاقة)

حسنا، أخبري أباك بأنه لا قلق. سوف أكون بطيئا مع إدموند.

إيلين: أخشى أن يكون أبي لا يريده أن يأتي إلى مدرستك مطلقا.

هنري: (بازدراء)
آه. أبوك معاد للمعرفة.

إيلين: لا، إنه يعادي أصحاب التعالي. وهذا ما يقوله عنك وعن أخيك أيضا. «عائلة بأكملها ابتليت بالتعالي»

هنري: وهل يعرف أبوك ما هو التعالي.

إيلين: سألته وحاول توضيحه لي، وكلما استفاض في الشرح، قل فهمي له، أبي لديه هذه الموهبة.

هنري: ليس معلما بالفطرة.
(فجأة)
آنسة سيويل. اصعدي القارب.

إيلين: أوه؟

هنري: بما أنني وجدت نفسي عاطلا عن العمل بشكل غير متوقع، سوف أصطحبك في رحلة استكشافية من دون دفع رسوم الدراسة.
(يساعدها هنري في ركوب القارب)
أبقي نظرك على الخط الفاصل بين الماء والسماء، أنا سأجدف.
(يقوم بحركات إيمائية لدفع القارب بعيدا، تضيق مساحة الإضاءة، تهتز الخلفية مع

إيحاء بأشعة الشمس تنعكس على سطح الماء، من دون مجاديف مرئية ومع ذلك يجدف. ويشير بشكل مفاجئ).
قديما كانت المجاديف من أشجار الأرز على ذلك الشاطئ البعيد.
(متنهدا)
لكن فقدنا الاتصال مع لبنان

إيلين: أين ذهبت؟

هنري: صارت أخشابا للمواقد وتصاعدت مع الدخان في البيوت.
هل ندرك ماذا نقترف يا آنسة سيويل؟ نحن نسمم الجنة، نجز الغابات، ونحول الأرض البائسة إلى صلعاء قبل أوانها.

إيلين: لكننا بحاجة إلى بناء المنازل يا سيد ثورو. أم علينا أن نسكن جميعا الكهوف؟

هنري: ما فائدة المنزل إذا لم يكن لديك كوكب يتحمل وضعه عليه؟ وهل تعرفين أن الأشجار تصرخ من الألم عند قطعها؟ لقد سمعتها.
لكن من سيقرع جرس البلدة من أجلها؟ نلاحق البشر قضائيا بسبب الإساءة للأطفال، وعلينا مقاضاة البشر لإساءتهم معاملة الطبيعة.

إيلين: يقول أبي إن الله خلق كل شيء لخدمة الإنسان.

هنري: أوه، هل وضعنا أبوك الطبيب هنا لنقلب ونشخر ونلتهم أنفسنا مثل الخنازير؟ لا إن الخنازير أفضل، على الأقل هي تستهلك الفتات بدلا من الإسهام في صنعه.
(ثمة صفير قطار من بعيد).
اسمعي ذلك الصوت، ثمة عربة محملة بالخنازير ثنائية الأرجل، خارجة إلى السوق...

إيلين: أفضل السكك الحديدية، إنها أفضل بكثير من الجواد والعربة.

هنري: لماذا؟

إيلين: أكثر نعومة وأكثر سرعة.

هنري: وأكثر قذارة وبشاعة. الحمد لله لم يتعلم الإنسان الطيران، وإلا لملأ السماء بالفضلات، تماما مثلما ملأ الأرض... ولفتت الغيوم؟

إيلين: (مرتبكة إلى حد ما).
هل ورد ذلك في التعالي، يا سيد ثورو؟

هنري: (يضحك)
لا. بل هي كذلك، بطريقة ما، لنأخذ أباك، هل تحبين هذا الرجل؟

إيلين: بالطبع.

هنري: لماذا

إيلين: إنه أبي.

هنري: هل هو جميل؟

إيلين: يا إلهي، لا.

هنري: هل يخلق الجمال، هل يرسم، هل يعزف بآلة موسيقية؟

إيلين: لا.

هنري: (مشيرا إلى الأعلى، ثم إلى الأسفل) وهل يستطيع الطيران مثل ذلك الطير، أو السباحة، مثل تلك السمكة هناك؟

إيلين: يعرف السباحة قليلا، اعتاد القيام بذلك، لكنه لا يشبه تلك السمكة.

هنري: مع ذلك تحبينه؟

إيلين: بالطبع.

هنري: حبك يتسامى، يتعالى، على حقيقة أبيك وعما ليس هو عليه. إن كل وعي قادر على تجاوز نفسه، كل..

(تتجهم إيلين قليلا)

اللعنة! أضعتك. ضعي يدك في الماء.

(تضع يدها)

هل تستطيعين ملامسة القاع؟

إيـــــلــــــين: (تتحني إلى الأسفل)
إنه عميق جداً.
هـــــنــــــري: بالنسبة إلى مدى ذراعك. لكن ليس بالنسبة
إلى المدى الذي يطاله عقلك.
(يتوقف عن التجديف)
يا آنسة سيويل، لماذا يجب أن يقع ما تطاليه
عند حدود جلدك؟
وعندما تتعالين على حدود ذاتك ستكفين
عن مجرد العيش، وستبدئين كينونتك!
إيـــــلــــــين: لا أمانع أن أعيش ..
هـــــنــــــري: لكن الكينونة أكثر إمتاعا بكثير.
إيـــــلــــــين: (ساحبة يدها من الماء)
أنا خائفة قليلا، فقط، أن «تكون»!
هـــــنــــــري: فكري كم ستكونين حرة عندما لا تخافين
أبدا.
إيـــــلــــــين: ألم تخف أبدا؟
(يفكر ويحدق فيها).
هـــــنــــــري: نعم أخاف أن أكون في هذه اللحظة
«عائشا»، وعائشا فقط.
(ينحني إلى الأمام على مجدافيه، ناظرا
في وجهها).
- أن أنظر إليك وأراك فقط. آه، لن يؤذي
مطلقا النظر إليك، صدقيني. ولكن ماذا لو

كان هنالك ما هو أكثر، وأغفلته؟

إيـــــلـــــين: أغفلت ماذا؟

هـــــنـــــري: ماذا لو أن كل ما هو جميل، في المرأة، في العالم أو في «العوالم»
ماذا لو اجتمع كل ذلك في هذا الوجه، أمامي، وأنا سخيف بما يكفي للتفكير في أنني أرى مجرد وجه واحد؟
(إيلين لا تتابع كلامه بدقة، لكنها تسر)

إيـــــلـــــين: هل هذا مذهب التعالي.
(فقد هنري الاهتمام بالتعالي وأصبح أكثر اهتماما بإيلين).

هـــــنـــــري: (يستأنف التجديف)
إن كان ذلك يروق لك.

إيـــــلـــــين: لا أعتقد أن ذلك مزعج، بل إنه لطيف.

هـــــنـــــري: ومن يقول إنه مزعج؟

إيـــــلـــــين: أبي، الليلة الماضية حول طاولة العشاء، أعطى إدموند لأبي موعظة حول الروح العليا.

هـــــنـــــري: أحسنت يا إدموند! إن معظم حجرات الطعام هي معابد حيث الأب وحده يرتقي منبر الوعظ.

إيـــــلـــــين: آه، لكن أبي استرد حقه في الحال، وظل يصرخ حتى وقت الفطور. فقد توقف الليلة

الماضية عند جملة غير تامة، وعاد إليها هذا الصباح عند تناول العصيدة.

هـــــنــــري: حسنا، أنا أكبر قليلا من إدموند. ولكن يجب علي حتى الآن سماع المقطع الأول للنصيحة الثمينة من الأكبر سنا.

(ذهبت نظراته إلى الأفق).

نولد أبرياء، تلوثنا النصيحة، ها هي الحياة أمامنا، مثل سطح هذه البركة، تدعونا للإبحار فيها. رحلة، تجربة. تنتظر التحقيق. هل حاول والدك ذلك من قبل؟ لا فائدة لي، أو لك في ذلك. حافظي على براءتك يا إدموند.

إيـــــلــــين: أنا إيلين.

هـــــنــــري: إيلين، نعم. يشبه أحدكم الآخر، كما تعرفين. العيون. كلاكما يصغي بعينيه.

إيـــــلــــين: يجب أن أعود.

هـــــنــــري: لماذا؟

إيـــــلــــين: أبي ينتظرني.

هـــــنــــري: قفي بجرأة في وجه أبيك.

(يقف هنري، يهتز القارب).

إيـــــلــــين: أرجوك، يا سيد ثورو ليس في القارب!

هـــــنــــري: آه

(يجلس)

إيلين: هل تعود بي إلى الشاطئ، أرجوك؟

هنري: كلا، اسمعي. إذا قلت لك «أنا أحبك، سيويل، آنسة سيويل، إيلين «فلن تصدقي أن هذا القول إقرار لواقعة إذا كنت تعلمين أنه مجرد صدى، تصويت، لشيء قاله أحد ما لأقوله لك.

(باستخفاف)

أبٌ ما!

(بهدوء)

لكن لو قلت «أحبك» وكان ذلك نابعا من داخلي، من تجربتي الخاصة، من افتقادي لها، من براءتي. عندها سترين أنه من المناسب تصديقي.

(تسقط الإضاءة على جون والأم، بينما تلتفت إيلين بعيدا عن هنري محدقة في الماء).

جون: (بسرعة)

يا أمي، هنري عاشق.

الأم: (بقلق)

ومن يحب؟

جون: فتاة.

الأم: شكرا لله.

(تبتعد الإضاءة عن جون والأم)

إيـــــلــــــين: (بجمود)

أنا لست واحدة من سمكاتك، أو طيرا من طيورك، يا سيد ثورو. لذلك لا أستطيع أن أسبح أو أطير عائدة إلى اليابسة، إنما علي أن أجلس هنا ببساطة وآمل أن تكون لطيفا بما فيه الكفاية لتعود بي إلى الشاطيء.

(لا يتحرك هنري. ينظر إليها. إنها جميلة، لكنه عرف أنه أضاع فرصته، وهذا الأمر يحبطه).

هـــــنـــــري: (متهدا).

يا آنسة سيويل، أعتذر إليك. ولسوف أعود بك إلى الشاطئ بشرط واحد.

إيـــــلــــــين: أنا مضطرة لقبوله.

هـــــنـــــري: تعالي يوم الأحد إلى الكنيسة.

إيـــــلــــــين: أنت لا تذهب إلى الكنيسة.

هـــــنـــــري: بالطبع لا. لا أستطيع المكوث جالسا في المقعد أضيع يوم الأحد تسلبني الموعظة.

إيـــــلــــــين: مع ذلك تدعوني إلى الكنيسة؟

هـــــنـــــري: مع جون، لدينا تشابه عائلي قوي، أيضا، وإذا وجدت مقطعا واحدا عندي يستحق التدوين في دفتر مذكراتك، ستجدين فقرات كاملة عند جون! ففي حين أنني مشاكس، فهو أنيس. وفي حين أنني شائك

وعليق، فهو حديقة، وفي حين أنني هضبة جرداء في الشتاء، فهو ربيع.

(يبدأ بالتجديف، ببطء)

إيـــلـــين: كيف تعرف أن أخاك يود اصطحابي إلى الكنيسة؟

هـــنـــري: ألم تلاحظي في يوم مرج هيوود، عندما عرض عليك؟

إيـــلـــين: لقد تكلم معي فقط.

هـــنـــري: لذلك لم تسمعيه، لم تفهمي بلاغة صمته.

(يصل القارب إلى الشاطيء المفترض. يقفز هنري منه، يقوم بأداء حركات إيمائية تعبر عن سحبه للقارب إلى الضفة. ثم يساعد إيلين على النزول).

إيلين، بعد وصولها إلى هدفها، تتساءل: هل ضعت أنا حقا؟!

إيـــلـــين: (بمزيج من الشجاعة والأسف)

كان يوما جميلا يا سيد ثورو. شكرا لك على شرحك لمذهب التعالي وجعله بهذا الوضوح.

هـــنـــري: حقا، إذا فاتتي أي شيء، اسألي إدموند.

إيـــلـــين: ماذا سيحدث لمدرستك؟

هـــنـــري: (مبتعدا)

راجع إليها. كتلميذ. ربما أستطيع أن أتعلم

من الطبيعة، ومن جون يمكن لمرج أن يكون مملوءا بالأزهار، من دون أن يصدر عنه صوت واحد. ولكن إنسانا واحدا - على فرض أنه أكثر حكمة من النرجس البري - يمكن أن يقرع على طبلة آذاننا بقوة لكيلا يسمع أحد ما يحاول قوله هذا الإنسان.

(إيلين مرتبكة، كان هنري يبدو عنيفا في صمته. ابتعدت إيلين جريا، خائفة. ونظر هنري بحزن صوبها، ثم حدق في القارب الفارغ ورفسه، لقد أشعره ذلك الفراغ بشيء من الخواء في داخله).

(يتحرك هنري ببطء إلى مساحة الزنزانة. ويختفي إيحاء الضوء على الماء المتموج. ولا يبقى سوى ظلال الزنزانة الليلية الطويلة. بيلي غاف على سريره، يشخر بلطف. ينظر هنري إليه).

هنري: يا سيد بيلي، ما رأيك بالزواج؟

(أطلق بيلي دفعة شخير ساخرة، أوحت بأن السؤال أدرك لاوعيه. يومىء هنري برأسه).

يبدو أن ذلك هو رأي الأكثرية.

(يجلس على سريره. تدق الساعة الحادية عشرة. يتسع الصوت، أقوى فأقوى، وينبض بموجات ثابتة).

يا بيلي هل تسمع ذلك؟ لا أظن أنني شعرت من قبل بأمواج صوت ساعة البرج هذه.

(ضحكة)

إنه لأمر مضحك ، هل يجب وضع الإنسان في صندوق من الحجر حتى يسمع موسيقى قريته!

(ينادي هنري عبر النافذة ذات القضبان).

شكرا لك، يا كونكورد، شكرا لك لأنك حبستني ومنحتني حرية سماع ما لم أسمع من قبل أبدا . وضعتني وراء قضبان حديدية وجدران حجرية بسماكة أربع أقدام، ومن أين لك أن تعرفي أنني لست حرا؟ أنا الإنسان الأكثر حرية في العالم، وأنت، هناك في الخارج، مغلولة إلى ما عليك القيام به صباح الغد.

(ويهمس الآن عبر حاجز الزنزانة المشبك)

تكلمي بنعومة يا كونكورد، أستطيع سماع أنفاسك.

(ويطلق بيلي شخرة أخرى)

اهدأ يا بيلي. نحن الأحرار يجب أن نصغي إلى صراخ السجناء.

(تبتعد الإضاءة عن الزنزانة. وثمة إسقاط لنافذة زجاجية ملونة. أعلى المسرح يقف

صف من المصلين: ديكون بول، سام ستابلز، والدو، ليديان، السيدة ثورو، جون وإيلين إلى جانبه، بالإضافة إلى سكان البلدة. يلبس الجميع ثياب الأحد وينشدون المقطع الأخير من ترنيمة: «لتتقدس الرابطة التي تجمع» من ترنيمة «المهاجر»).

جمهور المصلين: (ينشدون بصوت واحد)
لتتقدس الرابطة التي تجمع
قلوبنا في الحب المسيحي،
إلفة العقول النسبية
شبيهة العليا
آمين.

(في منتصف الترنيمة، يهرش إدوارد مؤخرته وتبعد ليديان يده. وبعد كلمة «آمين» تتصاعد موسيقى الأورغ، بينما يبدأ المصلون بالتقاطر إلى المنطقة المضاءة بإضاءة مرقطة توحي بظلال أشجار بعد ظهيرة يوم الأحد. تخرج إيلين، ممسكة بذراع جون، وثمة تحلق من المتحدثين حول عائلة إمرسون).

ديكون: قل لي، دكتور إمرسون، ما شعور الكاهن عندما يسمع قسا آخر على منبر الوعظ؟

والدو: بالراحة.

ديكون: شعور بالراحة لأنك لست من سيقدم الموعظة؟

والدو: (بجفاء)

انقضى الأمر.

(تبتسم الأم لجون وإيلين. وفجأة يقع نظرها على شيء يحول روحها إلى جليد. ينظر الآخرون، لكن بدرجات مختلفة من الصدمة، بينما هنري، قميصه مفكوك الأزرار، يدفع أمامه عربة مملوءة بالتراب. وبمرح يعبر مباشرة أمام جماعة المصلين المغتسلين والمترسمين. تخفض إيلين بصرها. ويكبح جون تكشيره، ويبتعد والدو وليديان برشاقة، ويحاول ديكون بول أن يبدو قدر الإمكان مثل موسى على الجبل).

الأم: آه، يا دافيد هنري: ! ليس يوم الأحد!

هنري: (بمرح)

هذا هو يوم الأحد أليس كذلك، هل حبسوكم جميعا في الداخل، في هذا الصباح الجميل؟ ياللأسف!

ديكون: كنا نغذي أرواحنا!

هنري: يا لأنانيتكم.

(يصل إلى عربته ويذر بعض محتواها غير المرئي على أقدام المصلين).

كنت أغذي نباتات كونكورد.

(يجفلون من الرذاذ).

أجلب أرغفة الخبز والأسماك لأزهار الليلك.

(يتحرك بمرح، يدفع هنري العربة مبتعدا، وجميع الأبصار معلقة عليه).

ديكون: عمل ليلة الأحد، الشيطان في ماساشوتس.

جون: إن هنري يصلي في الغابة.

ديكون: ولماذا الكنائس إذن؟

والدو: يخطر لي هذا السؤال أحيانا.

ليديان: (بسرعة)

يقصد الدكتور إمرسون أن الإله موجود في كل مكان.

والدو: يا ديكون بول، أنت أكبر مما أظن؟

(وقبل أن يحس بول بالإهانة، يربت إمرسون الطيب بود على كتفه).

بالنسبة إليك وإليّ، يا سيد ديكون، فإن إعلان الاستقلال قد كتب وانتهى الأمر وعلى الشاب ثورو إعلانه كل يوم، بما في ذلك أيام الآحاد.

(يتحرك والدو مع ليديان).

ما الضرر في أن يُجسد مزاميره المقدسة بعرقه بدلا من إنشادها؟

(يتفرق المصلون. يبتعد جون وإيلين معا. تبقى الأم وحدها. تلاحق هنري، بنظراتها وهو يختفي).

الأم: آه، دافيد هنري: لماذا أنت شاذ إلى هذا الحد؟

(تتوجه نظراتها إلى السماء).

أرجوك يا رب، لا تجعل جون شاذا مثل أخيه.

(تغادر. يختفي زجاج النافذة الملون. وتتحول السيكلوراما إلى غيوم تضيئها أشعة الشمس. وتنطلق ضحكة جون، بشكل مكبر وذي صدى، عبر حقل منبسط. يأتي هنري ويقف وقفة المنتصر).

هنري: قالت «نعم!»

(ينفجر ضاحكا، شبه سكران بضحكته)

تهانيّ ، أنا سعيد لأجلك، يا جون! هل تزمع القيام بذلك بالطريقة الصحيحة؟

أو هل عليك أن تمر عبر هذه الطقوس القبلية، إعلان الزواج، في الكنيسة، كل هذا الهراء البدائي؟

(جون، في نوبة من الضحك، يعانق أخاه)

جون: قالت، قالت

(ويضحك من جديد)

هــــــــنـــــــري: قالت «نعم» بالطبع!
(جـون، مستمرا في الضحك، لا يستطيع
الإجابة)
لم تقل «لا»؟
جـــــــــــــــون: لا لم تقل «لا!».
هــــــــنـــــــري: وماذا قالت ؟
جـــــــــــــــون: (لا يزال يضحك)
رددت قول أبيها.
هــــــــنـــــــري: أبوها السماوي أم الأرضي؟
جـــــــــــــــون: ذلك الذي تزوجته أمها.
هــــــــنـــــــري: حسنا ماذا قال «وجه العصيدة» العجوز؟
جـــــــــــــــون: قال..
(يضحك)
قالت إنه قال إن الزواج بأي من الأخوين
ثورو لا يمكن أن يخطر على بال؟
هــــــــنـــــــري: آمين! الأخوان ثورو لم يكن لديهما أبدا أي
نية بالزواج من أبيها؟
(بشكل آمل)
لكنها واجهته بجرأة؟
جـــــــــــــــون: لم أكن هناك، لكن من الواضح أنها جلست.
(يجلس)
هــــــــنـــــــري: وهكذا فقد ضيعت ستة آحاد صيفية جميلة
تصطحبها إلى الكنيسة!

جـــــــــون: أقسم إنني لم أصل. كنت أتلصص ناظرا إلى وجهها من طرف عيني. أتساءل بماذا كانت تفكر. وأدركت أخيرا أنها لم تكن تفكر مطلقا!

هــــنــــري: إنها فتاة ومن يرغب في زوجة تتجول مفكرة؟

جـــــــــون: (يبدأ بالضحك مجددا)
عندما فاتحتها بالزواج مني، مضت لحظة صمت حُبلى بالتوقعات.
حسنا ليست حبلى، إنما لحظة توقف، ثم قالت: «آه، يا عزيزي..» في البداية ظننت أن العاطفة تغمرها، بعدها أدركت أنها كانت تقول «آه يا عزيزي!» فقط.

هــــنــــري: وبعد ذلك؟

جـــــــــون: قالت: «لماذا لم يسألني هنري: ذلك؟»، وقلت: «لو سأل ستجيبين بنعم؟»، وقالت: «لا، لكن لماذا لم يسألني على أي حال؟»

هــــنــــري: هذه إهانة! تريد تعليق فروتي رأسينا على شرائط تنورتها!

جـــــــــون: لن تتزوجك، ولن تتزوجني. ولكن أعتقد أنها تزوجتنا في لحظة.

هــــنــــري: هذا ما يُعطي التوحيدية معنى جديدا!

جـــــــــون: لو كنا مسلمين..

هـــــنـــــري: لن يفيد في شيء، الإسلام يقول بتعدد الزوجات، وليس بتعدد الأزواج.

جـــــــــون: لكن بعد ذلك، يا هنري، دمرت كل شيء. قتلته وضحكت.

(يضحك هنري قليلا)

ليس على هذا النحو، بل أقوى من ذلك!

(ينطلق كلاهما بالضحك)

ليس عليها، تلك الفتاة العزيزة، بل علينا! كنت على وشك أن أحطم التقليد الأكثر قداسة لقبيلة ثورو العزوبية!

هـــــنـــــري: (ضاحكا)

كم أنت طيب القلب يا جون! لقد أنقذت الفتاة من الزواج براهب.

جـــــــــون: أو بزوج من راهبين!

(يضحكان بعمق أكبر).

هـــــنـــــري: من في نسلنا ارتكب الزواج من قبل؟

جـــــــــون: بابا وماما

هـــــنـــــري: شرعيا فقط. ما عدا زوج من الهفوات التي أنتجتنا، أنت وأنا. بابا كان عازبا طاهرا وماما كانت ركنا أساسيا من أعمدة العنوسة. وبفضل تحملك الشجاع، يبقى آل ثورو عرقا من العمات العوانس والعزاب، جميعنا عذراوات سبتمبر!

جـــــــــــون: يا هنري، لم يسبق لي أن أخبرتك حول أحد أشهر أبريل.

(يرفع هنري إحدى يديه في صفح زائف).

هـــــنـــــري: يا ولد، إذا استطاع الأب التردد، عندها أنت تستطيع!

(يضحكان معا، ثم يصبحان أكثر جدية)

جـــــــــــون: ذلك ينذر بمستقبل ستبقى فيه وحيدا.

هـــــنـــــري: وحيدا؟ أبدا! لماذا، عندما يصبح عمري تسعين عاما وأنت مجرد طفل في عمر الثمانية والثمانين فسوف تأتي لتسليتي.

جـــــــــــون: عندما تصبح في التسعين يا هنري فسوف أكون مجرد طفل في الثانية والتسعين.

هـــــنـــــري: هذا هو الوقت المناسب كي نذهب لطلب يد إيلين سيويل!

(هنري وجون يتقافزان، يضحكان، كما لو كانا زوجا من العجائز التسعينية حقنا «بإكسير الشباب». ثم يتعانقان وهما يضحكان من دون توقف).

(تطفأ الأنوار. وفي الظلام الدامس يقرع جرس الكنيسة بصوت حزين. وبشكل معُتم تظهر النافذة الزجاجية الملونة للكنيسة. ثم يسقط ضوء أبيض بارد، على الصندوق الذي كان قاربا وتحول الآن إلى تابوت).

صـــوت قـــس: إلى الـرب نسلم روح أخينا الـراحل، جون ثـورو، نسلم جسـده إلـى الـتراب، واثقين بأنه سيبعث من جديد إلى الحياة الأبدية لنصلي.

(أربعة من رجال البلدة بمعاطفهم السوداء يحملون التابوت. الأم متلفعة بالسواد. ويسير هنري ببطء إلى جانبها. تنظر في وجهه)

الأم: دافيد هنري. صلِّ معي!

(تجثو الأم على ركبتيها في مواجهة الجمهور، تشبه تماما من يسير في نومه. يجثو هنري على ركبتيه. وجهه أشبه بالقناع. تشبك الأم يديها. ويفعل هنري الشيء نفسه بشكل أوتوماتيكي، بصعوبة، تتوقف فجأة، تنظر إلى ابنها الصامت، الذي أنزل يديه)

هـــنـــري: لا أستطيع يا أمي. لا أستطيع الصلاة.

الأم: إنها تفيد.

هـــنـــري: حقا؟ لقد صليت من قبل. ما الفائدة التي نلتها من ذلك؟

الأم: يجب أن نصلي لروح جون.

هـــنـــري: يمكن لروح جون العناية بنفسها.

الأم: يجب أن نصلي لنفهم.

هــــــــنـــــــري: أنا أفهم!

(يبتعد هنري، ثم يعود، يقبل رأس أمه. وبهدوء) يا أمي، صلِّ من أجل ولديك.

(تخفض الأم رأسها، تصلي بينما تبتعد. يتلاشى إسقاط الزجاج الملون. وتأتي إيلين مسرعة)

إيــــــلــــــــين: (بتودد)

ماذا حدث؟

هــــــــنـــــــري: (يهز كتفيه باستهجان).

لقد مات.

إيــــــلــــــــين: كنت في وينزروب. لم أسمع إلا بعد مراسم الدفن.

هــــــــنـــــــري: تدبرنا الأمر.

إيــــــلــــــــين: كيف حدث ذلك؟ ألم يعرف أحد مسبقا؟

هــــــــنـــــــري: ماذا تريدين، تقرير طبي، لإرواء فضول مريض؟

إيــــــلــــــــين: مع ذلك لم أستطع أن أتزوجه.

هــــــــنـــــــري: لم تستطيعي؟ حسنا، هذا شأنك.

إيــــــلــــــــين: يا هنري، لا تكن أنانيا إلى هذا الحد مع حزنك! الأمر يمسني أيضا!

هــــــــنـــــــري: مات ميتة ساحرة، مثل فرسان الطاولة المستديرة الذين تطاعنوا بالسيوف الصدئة حتى ماتوا جميعا بتسمم الدم.

إيـــلـــين: لا أفهم.

هــنـــري: منذ ثلاثة صباحات وبينما كان يحلق ذقنه تذكر جون شيئا مضحكا. انفجر ضاحكا، وجرح نفسه. كانت شفرة الحلاقة قديمة ومؤذية فأفسدت الدم في عروقه. وبذلك

(ملتفتا بشكل مباشر إلى وجهها وبعنف)

- هل تحبين التفاصيل؟ التشنج، الإقياء، عدم كفاءة الأطباء القاتلة، شكل اللسان، الاختناق، تشنج الفك، الوجه المتقع بالسواد، العيون المتوسلة للأوكسجين، الـ ...

(فجأة تظهر على هنري أعراض تشنج الفك السيكوسوماتية ويبدو عليه أنه يدخل في سكرة موت أخيه)

إيـــلـــين: (مرتعبة)!

يا هنري!

(يتجاوز حالة الوهم، يتنفس بصعوبة، ويستعيد التحكم بنفسه)

هــنـــري: (منهكا، ولكن بتركيز)

لو أن صاعقة برق ضربته، لكان ذلك جديرا بإنسان من حجمه. ولكن جرحا في الأصبع من شفرة مثلمة، أي إهانة هذه!

(رافعا رأسه إلى السماء)

(تتحرك إيلين نحوه، تريد ملامسته، لمسة مواساة لكنها لم تفعل)

إيلين: إنني أتساءل إن كنا نتعلم التعالي على الألم حينما ينزل بنا الأذى..؟

(تتحدث برقة كبيرة وبساطة)

في القارب، لم أفهم، حقا. ولكن أمن الممكن يا هنري أن يكون جون يواصل كينونته مع أنه كف عن العيش؟

هنري: (يستدير وينظر إليها) لقد فهمت!

(ثمة دافع قوي لدى هنري يدفعه لمعانقتها، ولكن آلية كبح أقوى تمنعه)

(تبتعد الإنارة عنهما. ويسلط الضوء على والدو، يجلس كما يفترض في مكتبه. تقف ليديان وراءه. يتكئ هنري على ساقه الأخرى. بينما والدو يتفحصه بعمق).

والدو: حسنا ما العمل الذي ترغب في القيام به؟

هنري: أي شيء. أرغب في استخدام يدي.

والدو: وماذا بشأن رأسك؟

هنري: يمكن أن يكون مفيدا، من أجل التنقيب عن الكتب، ربما.

(تضحك ليديان)

أستطيع طرقه وتحويله الى شفرة محراث، ربما إذا كان أداة للفلاحة أفضل منه للتفكير.

والــــــــــدو: ستتخلى عن التفكير؟
هـــــنـــــري: في الحياة هذه، نعم.
والــــــــــدو: (متجها نحو زوجته)
يمكن أن نستخدمه لأداء ضروب مختلفة من الأعمال، يا ليديان.
(إلى هنري)
السيد إمرسون يؤكد لك أنه، من بين مخلوقات الله جميعا، أنا الأقل براعة في استخدام يديَّ من بين البشر. إن موهبتي في النجارة تتوقف عند تقطيع الجبن.
(يضحك الجميع، يشعر هنري بشيء من عدم الارتياح).
هـــــنـــــري: أنا ماسوني.(*)
والــــــــــدو: أنت؟
هـــــنـــــري: (بسرعة)
لا، بالطبع لست ماسونيا، إنما أقوم بالبناء.
والــــــــــدو: الأعشاب في حالة حرب مع القطيفة. وفي زيارتي الأخيرة لها، كانت الأعشاب هي الرابحة.
هـــــنـــــري: حُكمت بالهلاك. فأنا عشبة مثلها، وسأتغلغل بين صفوفها.

(*) كلمة ماسوني تعني «البنّاء» وهنا تلاعب باللفظ بين كلمة «ماسوني» الشخص الذي ينتمي إلى الماسونية، وكلمة «ماسوني» بمعنى البنّاء.

والــــــــــــدو: وماذا عن الأطفال، يا سيد؟

هـــــنـــــري: ماذا عنهم؟

لــــيـــديـــان: أي هل كان لك تجربة معهم؟

هـــــنـــــري: جيد، لقد كنت طفلا ذات يوم باختصار.

لــــيـــديـــان: (إلى والدو)

من حظ إدوارد الجيد أن يكون لديه شخص يستطيع اصطحابه للتجوال مشيا على الأقدام وفي القارب.

(إلى هنري)

ليس لدى الدكتور إمرسون ما يكفي من الوقت ليكون أبا، فهو مشغول جدا بمحاضراته وكتاباته.

هـــــنـــــري: عندما سأكون مع ولدكم، يا دكتور إمرسون، يمكن أن أعود بذاكرتي بشكل مؤقت..

والــــــــــــدو: أعتقد أن هذا تدبير جيد، بالطبع تبقى مسألة التعويضات.

هـــــنـــــري: لقد دفعت لي.

(يرفع والدو حاجبيه، متحيرا)

وبما هو أكثر أهمية بكثير من النقود وأكثر قيمة، فالكلمات التي كنت ترشقها بين النظارة من منصة المحاضرات، أنت لا تعرف أبدا ما كان يحدث لها. أليس كذلك؟ مثل إمبراطور روماني كان يقذف

النقود إلى الحشد حوله بينما كان يجول راكبا عبر شوارع المدينة.

والـــــــدو: كان الأباطرة الرومان يحاولون بذلك شراء الشعبية.

هــــنـــــري: والفقراء لم يكن لديهم سوى الذهب. لا عجب، روما سقطت!
(يزداد انفعالا)
لكن أنا جلست على العشب في باحة هارفارد وسمعتك تتحدث للمرة الأولى. كنت في الصف الأخير من المجتمعين، لكنني أعتقد أنني التقطت من القطع النقدية أكثر من المحتشدين عند عجلات عربتك.

والـــــــدو: (إلى ليديان)
قد يكون ممتعا أن يكون لدينا مساعد هارفوردي مثل هذا الرجل.
(إلى هنري)
أنا مُعدم، كما تعلم. ولست محظوظا مثل القياصرة، بل يجب عليّ أن أضرب قطع نقودي جميعها، مثل رجل يجلس إلى منضدة ويتساءل باستمرار: هل هذا ذهب أم قصدير؟

هــــنـــــري: آسف، فلقد كانت استعارة مغلوطة، النقود مجرد نقود، أما الفكرة فلا تستطيع تبديدها

مطلقا، فهي تبقى بانتمائها لك على الرغم من أنها تغني الآخرين!

والــــــــــــدو: (باتهام)

أنت تفكر، يا سيد ثورو. بالمناسبة، إذا كنا سنستخدمك هنا، أنت، يديك ورأسك، من المرجح لن يكون من الممكن الاستمرار في مناداتك بـ «سيد ثورو». أعتقد أن أمك تناديك بـ «دافيد»؟

هــــــــنــــــري: اسمي «هنري».

والــــــــــــدو: (بجفاء)

لقد سمتني أمي «رالف» ويمكنك أن تناديني بـ «والدو»

(ضحكا وتصافحا)

وليديان، بالطبع «ليديان»، وإدوارد، أين إدوارد؟

(ينادي) إدوارد، يا إدوارد!

لــــــيــــــديــــــان: أعتقد أن من المهم أن تلتقي بإدوارد للتأكد من أنكما ودودان.

والــــــــــــدو: ولماذا لا يكونان ودودين؟

(جاء دور إدوارد. عمره ثمانية أعوام، له حياء وتحفظ ابن أب مشهور)

إدوارد: (لأبيه)

نعم، يا سيدي؟

والـــــــدو: صافح يا إدوارد السيد ثورو وبقوة.
(يتصافح إدوارد وهنري):
ستكونان صديقين رائعين.

هـــنـــري: (بعفوية)
لا أرى أي مانع.

إدوارد: (بجدية)
فرصة سعيدة يا سيد؟
(إدوارد حذر في صداقاته)

لـــيـــديـــان: ألن يكون رائعا، يا إدوارد، وجود عضو جديد في العائلة؟

إدوارد: (بشكل مطيع).
بلى، يا ماما.

لـــيـــديـــان: (إلى زوجها)
لكن يجب ألا نتوقع من هنري أن يعمل مقابل أجر سخي مساو لما ندفع لإدوارد، وهو لا شيء.

والـــــــدو: ليس صحيحا، صباح كل سبت، ممطرا أو صحوا، يحصل إدوارد على دايم(*) براق وجميل.

إدوارد: (متفاجئا وباستغراب)
أنا أحصل على دايم؟

والـــــــدو: أودعه لك في البنك من دون تأخير.

(*) عشرة سنتيمات.

ليديان: (بابتسامة باهتة)
وبعض الأسابيع ندفع لك أكثر.
(يضحك الطفل، من الواضح أنه يرتاح مع أمه أكثر من راحته مع أبيه)

والدو: (يصرف الطفل، وبشكل آلي إلى حد ما)
هذا كل شيء يا إدوارد. عُد إلى دروسك.

إدوارد: نعم يا أبي.
(ويعدو الطفل بسرعة)

هنري: (مراقبا الطفل المبتعد)
إذا كان ذلك يرضيك، سآخذ الأجر نفسه مثل إدوارد وأحاول أن أكون جديرا به.

والدو: يا هنري، أنت رجل أعمال سيىء.

هنري: أنا لست رجل أعمال على الإطلاق، عندما لا تدفع لي أجرا منتظما لن أكون مجبرا على الالتزام بساعات عمل منتظمة. فأنا أحب إعطاء حياتي هامشا واسعا.
(بسرعة)
لكن أؤكد لك، أنني سأنجز الأعمال.

والدو: عندها من الأفضل أن ندفع أجورا أسبوعية.

هنري: وهل بالضرورة تكون الأجور نقودا؟ ألا يمكن أن تكون...
(يتوقف، ثمة إسقاط رقيق لأوراق خضراء

وموسيقى ناي بعيدة، يتوقف هنري لسماعها، يحدق والدو وليديان فيه باستغراب، بينما يرنو هو بنظره بعيدا تجاه والدن، بعيدا إلى مؤخرة القاعة أو أبعد).

كم يمتد المرج خلف منزلكم؟

والــــــــــــدو: حتى الغابة.

هـــــــنـــــــري: ضمنا الغابة؟

والــــــــــــدو: جزء منها إلى شاطئ البركة.

(ترتفع موسيقى الناي، وتتسارع، تتسارع الأفكار داخل رأسه).

هـــــــنـــــــري: لربما، ذات يوم، إذا وجدتم عملي مفيدا لكم، وإن بقينا أصدقاء، ربما أطلب منك جزءا من الغابة.

(بسرعة) مساحة صغيرة، لا تتجاوز مساحة هذه الحجرة، ليس كهدية، لا أريد امتلاكها، مجرد تفاهم أصدقاء، يدركون أن الأرض ملك للمراميط، في مطلق الأحوال.

لـــــيــــديـــــان: وماذا ستفعل بها؟

هـــــــنـــــــري: لست متأكدا تماما، مجرد فكرة، «تجربة».

(تخفت موسيقى معزوفة الناي، ويتلاشى إسقاط الأوراق)

والــــــــــــدو: تفكير سليم يا هنري، تخطط للمستقبل، لتقاعدك.

هـنـري: تقاعد؟ أي فكرة حمقاء هذه، لماذا نضيع أفضل جزء من حياتنا؟ ولم الشقاء، شقاء كلب لنلهث للحظة أو لحظتين قبل أن نموت؟

(يضحك والدو)

والـدو: «حكى لي كارليل عن رجل إنجليزي هاجر إلى الهند، «أنجيا» كما يسميها، ليجمع ثروة كبيرة ويعود بها إلى «ليك كانتري» ويحيا حياة شاعر.

هـنـري: لو كانت فيه لمسة شعر لاندفع إلى العلية ومكث فيها.

والـدو: كان عليه، لكنه مات في البنجاب، يملك ثروة هائلة لكن دون أي مقطع شعر باسمه.

لـيـديـان: هل يمكن لهنري أخذ قطعة من الغابة من أجل تجربته؟

والـدو: حسنا. لا أعرف نوع التجربة في ذهنك، ولكن إذا لم تمانع المراميط فلماذا سأمانع أنا؟

هـنـري: شكرا، دكتور، أو..

(يصحح الاسم)

والدو.

والـدو: (إلى زوجته)

ليس لدي متسع من الوقت لكتابة قائمة

بجميع الأشياء التي بحاجة إلى العمل.
يا ليديان، هل تستطيعين الدخول مع هنري في التفاصيل، مختلف الأشياء التي..

هنري: لا تضعي قائمة، ستبوح لي الأشياء بحاجتها.

والدو: آه، أي إخلاص هذا! المشكلة عندما تستأجر أناسا لمساعدتك، يقومون بما كلفتهم به دوما، ويجيئون قارعين على بابك قائلين: «ما العمل التالي؟»، ويكون ذلك دوما، بينما تكون أنت ممعن التفكير في ما عليك فعله تاليا؟

هنري: أنا أحترم خصوصية الإنسان، لن أقرع مطلقا باب مكتبك.

والدو: لا تكن شديد الغرابة، يا هنري. أوه، حتى أنا يمكن أن أقطع عملك بين فترة وأخرى وأطلب منك مساعدتي في إصلاح جدار متداع أو في قلع بعض الأعشاب الضارة.

هنري: أنا إنسان غير مؤدب. سأكون صريحا معك حتى مع مرجكم الخلفي.
(يغادر هنري ويحدق والدو وراءه)

ليديان: قليلون من يفهمون هذا الشاب. فهو لا يطلب شيئا.

والدو: ربما يريد الكثير جدا.

(انطفأت الأنوار جميعها ما عدا ضوء القمر على زنزانة السجن. يتمشى هنري عائدا إلى الزنزانة، يقف جانب النافذة المخططة ويصغى مرة أخرى إلى أصوات كونكورد. يرتعش بيلي مستيقظا ويجلس بشكل مفاجئ)

بيلي: كم الساعة؟

هنري: إلى أين تنوي الذهاب؟

بيلي: إلى النوم ثانية، لكن أود أن أعرف كم مضى من الليل.

هنري: في سمرقند الوقت ظهرا تقريبا.

بيلي: أهي قريبة من بوسطن؟

هنري: إنها بعيدة جدا، بقدر ما تتصور، عن بوسطن.

بيلي: لا أستطيع أن أتصور أبدا كيف يمكن أن يكون توقيت هنا وتوقيت آخر في مكان آخر. ألا يجب أن يكون واحدا في كل مكان.

هنري: أنت أكثر حكمة من معظم الناس الذين يحملون ساعات، لا أعرف ما الفائدة من تعليق الأرقام على الساعات. أنت لا تستطيع أن تعد نهرا يتدفق بجانبك. وخير ما تفعله هو أن تخلع ملابسك وتسبح فيه. وحين يغمرك الماء من كل جانب، ستكون

عندها جزءا من النهر الكلي، حيث كان وحيث يكون وحيث يتدفق. اغطس فيه.

بيلي: لا أجيد السباحة.

هنري: وأي صعوبة في ذلك. هناك صعوبة واحدة، فأنت لا تستطيع أن تصارع الماء، فإذا ما طوحت بذراعيك لتخترق بهما الماء وتغالب التيار، فإنه سيهزمك، ولسوف تنزل تحته.

(ثمة سكران، يتضاحك بشكل متقطع، يسير متمايلا عبر البروز، إبريق البيرة الإنجليزية لا يزال في يده، يجفف الإبريق، يندفع بوحشية. ينهض بيلي عن سريره، يتوجه إلى النافذة بجانب ثورو. وينظر كلاهما إلى الخارج).

بيلي: لقد غاص عميقا جدا.

(ومع نغم متكسر لأغنية سكرى، يلوح السكير بيده)

هنري: غريق وسكران بالجعة والحضارة.

بيلي: هل تشرب؟

هنري: وأنت هل تشرب؟

بيلي: عندما أستطيع توفير ثمنه.

هنري: لا يكلف السكر شيئا. لكنه ليس ضروريا ولا حاجة لنا به. يمكن للمرء أن يكون

سكرانا طيلة الوقت. يمكنك أن تسكر من الهواء، هناك حيث أسكن.

بـــــيـــــلـــــي: (باهتمام مفتون)
وأين تسكن؟ عندما يطلقون سراحك، يمكن أن آتي وأسكر معك. حين يطلقون سراحك. إلى أين ستذهب؟

هــــنــــري: إلى الغابة بجانب البركة.
(تتناهى إلى مسامعنا معزوفة ناي مع إسقاط الأوراق الخضراء)

بـــــيـــــلـــــي: بعيدا عن كل شيء؟

هــــنــــري: آه، حيث أسكن، لدي عدد كبير من الأصحاب، لكن ليسوا من البشر.

بـــــيـــــلـــــي: ألا تخاف في الليل والعتمة؟

هــــنــــري: ولم الخوف؟ جميع الساحرات قد شنقن. ولقد ابتكرت المسيحية والشموع.

بـــــيـــــلـــــي: تعيش هناك طوال الوقت؟

هــــنــــري: كل الوقت.

بـــــيـــــلـــــي: (بكآبة) أرغب في مكان أنتمي إليه. أتعجب كيف يستطيع الإنسان تحصيل نقود لامتلاك بيت يخصه.

هــــنــــري: هل تريد أن تعرف كم كلفني قصري؟ ثمانية وعشرين دولارا واثني عشر سنتا ونصف السنت.

بـــيــــلــــي: هائل، كنت أظن دوما أن البيت يكلف ثروة. مئات الدولارات أو أكثر، كيف تأكل؟

هـــنـــري: بشكل ممتاز، لديّ هناك بقعة فاصولياء، وبعض الذرة، وأصطاد الأسماك في والدن من وقت إلى آخر.

بـــيــــلــــي: وفي الشتاء؟

هـــنـــري: في الشتاء يهطل الثلج؛ لذا لن يكون عليّ حتى الذهاب إلى البركة طلبا للماء العذب، أخرج إلى البوابة فقط، وأجلب قبضة من الثلج، أذيبه، وهو عذب عذوبة السماء.

(يتوارى إسقاط الغابة، وصوت الناي)

آه هناك بعض الأشياء القليلة التي يجب إحضارها من البلدة، لذا أذهب إلى هناك.

(عندها يتقدم هنري إلى مقدمة المسرح بعد أن يخلع إحدى فردتي حذائه ويدخل يده فيها ويخرج إصبعه عبر ثقب في النعل، يسير مرتديا فردة حذاء وأخرى يحملها. تخمد الإضاءة على الزنزانة ويعاود بيلي الرقاد على سريره في الظل).

(الوقت بعد الظهر من يوم تموزي حار. البروز (اللسان) عبارة عن شارع رئيسي في كونكورد. بضعة أشخاص يمرون بجانب هنري. ينظرون إليه باستغراب وفضول،

فهو يرتدي فردة حذاء ويحمل الأخرى بيده. بينما هنري يبدو غافلا عن ذلك. يهز رأسه، محييا المارين بفردة حذائه. يمر بجانبه ديكون بول، يرمق هنري بنظرة ازدراء)

بول: هل تنازلت للقيام بزيارة للحضارة، يا سيد ثورو؟

هنري: زيارة مختصرة، وعلى مضض.

بول: وكيف هي الحياة بين المتوحشين؟

هنري: إذا بقيت في كونكورد وقتا كافيا، يا ديكون، سأتبين ذلك.

(يحييه هنري بفردة حذائه مرحا ويتابع سيره الأعرج).

(يسير سام ستابلز متمهلا صوب هنري. ويمسك قطعة ورق باشمئزاز)

سام: (يسعل)

هالو هنري

هنري: آه، هالو سام.

سام: ماذا أصاب قدمك؟

هنري: قدمي بخير. لكن حذائي مريض.

(يهز إصبعه عبر الثقب في النعل)

والإسكافي سوف يعالجه.

(يهم هنري بالسير)

سام: هنري، أواه، لدي هنا شيء ما لك.

هنري: أوه؟

سام: (بارتباك)

يمكنني أن أفهم كيف يمكن للمرء أن ينسى إن كان مشغولا مثلك بالكتابة عن الطيور ومحادثة الأسماك وغيرها من الأشياء الأخرى التي تقوم بها هناك. من الطبيعي بالنسبة إليك ألا تفكر في الضرائب.

هنري: لا، لا أفكر في الضرائب.

سام: لكن دفعها لا بد منه.

هنري: لماذا؟

سام: إنه القانون. لا ألومك لأنك تنسى يا هنري. يمكن أن تفاجأ بأنك لم تدفع ما يترتب عليك من ضرائب طوال عامين.

هنري: بل ستة أعوام.

سام: (بحزم)

لدي هذا الأمر. ويجب أن أبلغك إياه.

(ويدفع بالورقة الرسمية إلى هنري)

هنري: (بنوع من الهدوء المتعجرف)

لماذا، شكرا، سام.

(يأخذ هذه الورقة وينظر فيها، يطويها ببطء، يجعِّدها باعتناء ويدسها في فردة حذائه، يلبس هذه الفردة. ويسير بضع خطوات)

تمام، تناسب بشكل رائع، هذا ما أحتاجه بالضبط. ربما لم يعد عليَّ الذهاب إلى الإسكافي.

سام: (منزعجا)

لكن هذه الورقة رسمية، يا هنري، لا يجوز أن تدسها بهذا الشكل.

هنري: ولم لا؟ إنها أفضل شيء حصلت عليه من الحكومة حتى الآن. على الأقل الأكثر عملية.

سام: انظر، لا يسرني ذلك كله أنا أيضا، أبلغك أمر المحكمة، هذا عمل غير سار أحيانا.

هنري: عندها اترك وظيفتك. إذا كنت لا ترغب في أن تكون شرطيا يا سام، استقل.

سام: لكن الناس يحتاجون إلى من يقوم بهذا العمل.

هنري: تعمل من أجل الناس إذن؟

سام: نعم.

هنري: حسنا، أنا «الناس»، وليس عليك العمل من أجلي. أنت حر، أنت مطرود إذا كان ذلك يجعلك أكثر سعادة.

سام: انظر يا هنري، هل ستدفع الضريبة أم لا؟

هنري: هل تدفع أنت ضريبتك، يا سام؟

سام: إذا لم أدفعها، سيكون من واجبي توقيف نفسي.

هـــــنــــــري: هل ستوقفني؟

(توقف طويل. ينظر الرجلان أحدهما إلى الآخر بهدوء)

ســـــــــام: لا أرغب في ذلك يا هنري، لكن الحكومة تتشدد بخصوص الضرائب خلال هذه الحرب.

(هنري هادئ جدا ولكن بدأ الدم يغلي في عروقه)

لكنه ليس مبلغا كبيرا على أي حال، إذا استكثرته سأتكفل به.

هـــــنــــــري: (منفجرا)

إياك أن تتجرأ!

ســـــــــام: بمنزلة دين، فقط، تستطيع أن ترده عندما..

(والآن انفجر جميع الغضب المصهور داخل هنري دافيد ثورو مثل حمم بركان ثائر)

هـــــنــــــري: لن أدفع بنسا نحاسيا واحداً إلى حكومة ظالمة! أنا لم أدفع العُشر(*) ولا التعرفة إلى الكنيسة، لذلك أعلنت براءتي من الكنيسة! حسنا والآن مستعد يا سام لأعلن براءتي من الحكومة، أين أوقع؟ أين؟

(*) العُشر: هو عُشر الغلة أو الأموال التي تدفع للكنيسة.

ســــــــــــام: ليس باستطاعتك فعل ذلك.

هـــــنــــــري: لماذا لا أستطيع؟

ســــــــــــام: (بضعف)

حسنا، حتى الرئيس عليه إطاعة القانون!

هـــــنــــــري: ياللرئيس المسكين! وماذا عن المحافظة على شعبيته والقيام بواجبه. إنه لا يعرف ما الذي ينبغي فعله.

ســــــــــــام: إذا قالت الأغلبية..

هـــــنــــــري: أنا الأغلبية، أغلبية الواحد!

بـــــــــــول: (من طرف الحشد)

أوقفه!

ســــــــــــام: (متذمرا)

لا أريد أن أوقفه..

هـــــنــــــري: تصرف، أيها الشرطي. لا يمكن لرجل شريف أن يدخل هذه البلدة ليرتق حذاءه أو حتى فردة حذائه.

(يخلع حذاءه من قدمه بقوة، ينتزع الورقة من داخله ويلوح بها)

من دون أن يتجمع جيرانه حوله ليضربوه بمؤسساتهم القذرة.

(وللمرة الأولى، يدرك هنري أنه محاط بحلقة صغيرة من الناس فيتوجه إليهم وإلى سام بالكلام على حد سواء)

سأقول لكم هذا، لو كان هناك ألف رجل، مائة رجل، عشرة رجال، عشرة رجال شرفاء فقط، إذا كان هناك رجل شريف واحد في ولاية ماسوشيتس هذه لديه القناعة والشجاعة لإعلان انسحابه من هذه الشراكة غير المقدسة وتحمل السجن، فسيكون ذلك بداية حرية حقيقية تفوق ما شاهدناه منذ أن قام بضعة مزارعين شجعان بقطع الطريق ومحاصرة بريطانيا.

(ويشير بيده بعيدا).

صوت آخر: خارج عن القانون!

هنري: وهل هناك قانون يقف مع حرية الإنسان؟ على البشر تحرير القانون. وإذا كان القانون خاطئا فإن واجبه أن يقف ويعلن ذلك. حتى لو أراد مجتمعه الشاذ أن يزج به في السجن.

مزارع: هذه ثورة!

هنري: نعم يا سيد، هذه ثورة! وماذا تظن قد حصل على جسر كونكورد؟ اجتماع للصلاة؟

(مشيرا ثانية. وبتأكيد)

سام: ما الذي تحاول فعله، يا هنري؟ إلغاء جميع القوانين؟

هنري: قدر ما أستطيع.

المـــــزارع: ولم هذا الحمام كله؟

ســـــام: لا يريد دفع ضريبته.

المـــــزارع: وأنا لن أدفع.

ســـــام: (مشيرا إلى هنري)

ياه، لكنه ضد دفع الضريبة.

المـــــزارع: يا هنري، سوف يقلبون معدتك. إذا اندفعت إلى الشارع كالمجنون ضد المجتمع.

هـــنـــري: المجتمع هو الذي «يندفع إلى الشارع كالمجنون» ضدي. أنا ذاهب إلى الإسكافي فقط. لا أهتم بشيء آخر. لا أطلب من الحكومة شيئا. لماذا يجب أن تأخذ هي مني؟

بـــــول: ارم به في السجن!

هـــنـــري: ماذا تنتظر، يا سام؟ أخرج الأصفاد، جرني إلى السجن.

ســـــام: لا بد من أن يكون هناك خطأ عظيم عندما تمتلك الإنسان رغبة كهذه الرغبة في الذهاب إلى السجن!

هـــنـــري: المسألة بسيطة جدا. ما تفعله حكومة هذا البلد يقلب معدتي! وإذا أبقيت فمي مغلقا، فأنا مجرم أمام ضميري، أمام ربي، أمام المجتمع، وأمامك أنت يا سام ستابلز. تريد مني دولارا؟ إن لم تحصل الطريقة التي

سيصرف بها هذا الدولار على رضاي، فإنك لن تناله أبدا.

سـام: أقسم إنني لا أستطيع أن أتصور ما الذي يجعلك بهذا البخل، يا هنري.

هنري: هل سمعت بما يفعلون في واشنطن؟

سـام: أنا، حسنا، ليس لدي الوقت لقراءة الصحف، كما أنني أقرأ ببطء.

هنري: افتح أذنيك، واكتشف ما الذي يشغل مستخدمك في البيت الأبيض.

سـام: إنه ليس رئيسي فقط، هو رئيسك أيضا.

هنري: لا يا سيد. أنا لا أدفع مرتبه، إنه مطرود من وظيفته!

سـام: أنت تحترم الدكتور إمرسون وتقدره عاليا أليس كذلك؟

هنري: عادة.

سـام: لقد سدد ضريبته.

هنري: تلك مشكلته، أنا لن أدفع الضريبة.

سـام: كل ما أعرفه، ليس من المناسب زج رجل من هارفورد في السجن، خصوصا ثورو. أنا لم أعرف رجلا أشرف منك يا هنري.

هنري: هل هذا إطراء، يا سام؟

سـام: نعم، يا سيد.

هـنـري: شكرا لك. والآن زُجَّ بي في باستيلكم.

(يمد يديه لوضع الأصفاد عليهما. يتنهد سام، ينظر حوله إلى الحشد الصغير من رجالات البلدة. يهز كتفيه بلا مبالاة ومن دون أمل، ويقود هنري مبتعدا. وتخيم فترة صمت مملوءة بالتوقع)

المـزارع: من الأفضل أن يذهب أحد ما ويخبر أمه.

امـرأة: لكن لا تدعوا خالته لويزا تعرف بذلك. وإلا أصيبت بنوبة هستيريا.

(تفكر المرأة وتقول باستمتاع)

أنا ذاهبة لإخبارها!

(تخرج مسرعة. يتبعثر الحشد في مختلف الاتجاهات، ويتلاشى الضوء عن مقدمة المسرح).

(يدخل هنري وسام إلى الزنزانة. بيلي على السرير متدثرا ببطانية، لا يدرك هنري في البداية أن معه زميلا في الزنزانة. سام يحمل حلقة مفاتيح يلقيها على السرير، وكذلك دفتر تسجيل مهترئ. وهنري يتفحص المكان).

سـام: ليست زنزانة ممتازة، لكنها نظيفة.

(يرسل بيلي شخرة قوية)

هـنـري: وموسيقى، أيضا، مهدئة للأعصاب.

سـام: (بينما يبلل برية قلم الرصاص في فمه)
والآن يا هنري يجب أن أدون عمرك.

هـنـري: تسعة وعشرون ربيعا.

سـام: (يكتب بصعوبة)
اثنين، تسعة. العمل؟

هـنـري: لماذا تريد ذلك يا سام؟

سـام: إذا لم أملأ السجل بدقة، فإن الإدارة لن تصرف مخصصاتك من الطعام.

هـنـري: (مشيرا برأسه تجاه النائم)
ما عمله؟

سـام: هو! متشرد.

هـنـري: أنا أيضا متشرد.

سـام: (منزعجا من كل ما يقوم به)
يا هنري، هذا ليس عملا بل تهمة أخرى!
أعطني مهنة ما لأدونها. من أنت بدقة؟

هـنـري: من أنا؟
(مفكرا)
آه، عاذق فاصولياء، صياد سمك، مراقب للعواصف الثلجية...

سـام: (بنفاد صبر)
هذه مهن غير مقبولة.

هـنـري: تريد مهنا محترمة؟ لنر. صانع أقلام رصاص، في فترة ما، معلم مدرسة ذات

مـرة، مـراقـب نجـار، مؤلـف، مـدع، صـائدا لتوت العليق، خبير...

ســــــــام: (يكتب)

نجار. هذه مقبولة.

هــــنـــري: انتبه يا سام، لسوف تصدم رجال الدين إذا سجنت نجارا.

ســــــــام: (بعد تفكير قليل)

سُجلت.

(يغلق السجل بقوة ويخرج، هـازا رأسـه. تـتـحـول الإنـارة فـي الـزنـزانـة إلـى ظـلام بالتدريج وببطء. وثمة أصـوات ملحاحة ومتنافرة لجرس منزل. تقع الإضـاءة على منزل إمـرسـون. تظهر ليديان في قميص النوم. تقرأ ورقة تمسكها بارتباك واهتمام)

والــــــــدو: (من بعيد)

من هناك؟ سأفتح.

لــيـــديـــان: أخذتها، يا عزيزي.

(يظهر والدو في رداء الليل، ويلبس قلنسوة النوم)

والــــــــدو: (بشكل متكاسل)

سأفتح، سأفتح. آه، ليديان، مـاذا تفعلين هناك؟

لــيـــديـــان: (إلى والدو، مشيرة إلى الورقة)

تتعلق بهنري. إنه في السجن.

والـــــــــــدو: يا رب مساعدتك! لماذا؟ ماذا فعل؟

لـــيـــديـــان: ليس واضحا.

والـــــــــــدو: قتل ديكون بول! أحد أعمال الرحمة التي يقوم بها هنري!

لـــيـــديـــان: لا..

والـــــــــــدو: هل وجدوا ديكون بول مقتولا، ويتهمون هنري؟!

لـــيـــديـــان: لم يقتل ديكون بول.

والـــــــــــدو: آه سيىء جدا. دعيني أر ذلك.

(تناول الورقة. وفي الوقت نفسه تنزل الإضاءة على مدام ثورو شديدة الاضطراب)

الأم: كل ليلة، يا لويزا، كل ليلة أرى هذا الكابوس المريع، أحلم أن هنري في السجن. لكن هذه الليلة لم أضطر للذهاب إلى النوم!

(تختفي الإضاءة عن مدام ثورو. وفي الزنزانة، يدخل سام مرة أخرى ويقف على بوابة الزنزانة)

ســــــــــــام: قبل أن أخلع حذائي هذه الليلة، يا هنري، لماذا لا تسدد ما عليك وتدعني أتركك تخرج من هنا؟

هـــــنـــــري: (بلطف)

اخلع حذاءك، يا سام.

(لا يزال سام مترددا. وفي منزل إمرسون، استيقظ والدو تماما)

والـــــــــــدو: يا ليديان يجب أن ألبس حذائي، أين معطفي؟ يجب أن أذهب إلى ساحة كونكورد!

(يجلس والدو، يلبس حذاء مدبدبا من دون جوارب، تناوله ليديان معطفه الخارجي الأسود، ويلبسه فوق قميص النوم)

لـــيـــديـــان: سوف تذهب على هذا النحو؟

والـــــــــــدو: وقع هذا الشاب في ورطة!

(ينطلق. تخلع ليديان قبعة الليل بسرعة، بينما يسرع والدو مبتعدا. ويتلاشى النور عن منزل إمرسون)

ســـــــــــام: (راجيا)

أرجوك أن تدفع يا هنري.

(كان هنري كالبركان في السابق، ولكنه الآن بارد وصارم)

هــــنـــــري: حين تطلب مني أن أدفع ثمن بندقية، فذلك يساوي أن تطلب مني أن أطلق بها! وأنت تريد أن تجعل مني قاتلا مثل أي جندي من المشاة ينتهك حدود المكسيك البعيدة، وينتهك حرمة منزل جاره ليضرم النار فيه ويقتل أطفاله!

(يتملى الرجلان أحدهما في الآخر. مرتبكا

يهم سام بالمغادرة. يذهب هنري إلى السرير ويصرخ)
يا سام!
(يعود سام بخطوات مسرعة وتوقع، ظانا أن هنري قد غير رأيه)
لقد نسيت مفاتيحك.
(يتناول سام رزمة المفاتيح)

سـام: (محبطا)
أوه.
(يأخذها، يخرج ويغلق الباب. يحدق هنري خلال القضبان، مصيخاً إلى صمت الليل في البلدة. ومن مؤخرة المسرح، وكأنه صوت يخترق ساحة الكونكورد، صوت يقطع الصمت)

والدو: هنري! يا هنري! ماذا تفعل في السجن؟
(يستدير هنري، وبشكل مواجه، مستجيبا للتحدي)

هنري: (بتحد وباتهام واضح يشير عبر ساحة الكونكورد)
يا والدو! وماذا تفعل أنت خارج السجن؟

وتطفأ الأنوار

الفصل الثاني

(يُسلط الضوء على زنزانة السجن، يمر ضوء القمر عبر القضبان من زاوية جانبية. السريران غير مضاءين، إنما يسقط الضوء على المساحة الواقعة بينهما. تدق ساعة البلدة مرتين، ويكشف الضوء الخافت بالتدريج شكل رجلين يبدوان من دون حراك: نائمين يتحرك هنري، يسعل، ينهض بانزعاج، يتمشى عدة مرات، يذهب إلى النافذة ذات القضبان. يرفع يده في الإضاءة البيضاء لنور القمر. يلمس القضبان. ومن ثم، بنوع من شطح الخيال يتظاهر باقتلاع القضبان كما لو كانت القضبان أوتار قيثارة).

هنري: (مقلدا أوتار القيثارة)

تنك... تنك... تنك... تانك

(يخلط القضبان كما لو أنه يعزف بتسارع على الأوتار. ويتوقف فجأة ليلتفت إلى زميله في الزنزانة)

هناك في سجن السماء، يعزف الملائكة الموسيقى على هذا النحو.

(يتمشى)

لقد أخبروني بذلك.

(يتمشى بضع خطوات)

من دون أن أكون هناك.
(يتمشى أكثر)
وغير راغب بالدعوة إلى هناك.
(يجلس هنري على سريره ويتحدث إلى بيلي النائم)
هل تعُرف ما قالته الحكومة، يا بيلي؟
«نقودك أو حياتك» لن أعطيها نقودي وهم يظنون أنهم أخذوا حياتي!
فقط جسدي. أنا إنسان حر. حر في ملامسة أنفي إذا أردت
(يلامس أنفه)
وحرّ في ألا ألامسه.
(ينزل يده)
حر في الوقوف. أو عدمه. لا يستطيعون سجن أفكاري! وما أؤمن به يخرج بسهولة عبر هذه الجدران - وكأن الحجارة هواء.
(ويومئ إلى الأمام حيث لا جدار في الحقيقة)
الدولة خائفة جدا منا يا بيلي، لذلك حبستنا. إن الدولة خجولة كأرملة مع ملاعقها الفضية! لقد أرعبناها حتى فقدت صوابها.
(أضواء الإنارة على ليديان)

ليديان: لديك من الذكاء ما يكفي يا هنري لتدرك أنه لكي تستمر يجب أن تتقدم!

هنري: (ينفجر ثانية مثل بركان ويصرخ، بقرف) تقدم! تقدم! تقدم!

(تتناول ليديان سلة فريز صغيرة)

ليديان: يا إدوارد؟

(يأتي الصغير راكضا إليها)

اذهب مع السيد ثورو.

إدوارد: إلى أين سنذهب؟

(يتمشى هنري مع الزنزانة إلى البروز. يرتدي بسرعة وأناقة قبعة من القش عريضة الحواف كان ارتداها من قبل وصار البروز مرجا مشمسا)

هنري: لاصطياد توت العليق، يا ولدي! هل ترغب دراسة تأليف الموسيقى مع موزارت؟ والرسم مع مايكل أنجلو؟ ودراسة صيد توت العليق مع ثورو، إنه الأمر نفسه!

(يضحك إدوارد، تتوارى ليديان بينما يسير موكب صيادي توت العليق عبر الحقل الطافح بأشعة الشمس)

والآن، عندما كانت في مثل سنك - هذا إذا حدث يوما وكنت بعمرك - كانت أمي تطبخ

لنا فطيرة توت العليق. وكانت الفطيرة الأفضل في كونكورد. وكانت الفطيرة هي كل ما كنا نأكله: أمي، أبي والعم تشارلي والخالة لوزيزا وأخي جون. وكان لي الفخر باكتشاف توت العليق! مغامرة برية، نصف يوم تحت سماء كونكورد.

إدوارد: كيف تجد توت العليق؟ أريد اكتشاف بعضها!

هنري: (مفشيا سرا كبيرا)
من الصعب العثور على توت العليق. لأن معظم الناس يعتقد أنه بعيد، هناك!
(ويشير بإشارة دراماتيكية)

إدوارد: وهل علي الذهاب إلى هناك؟

هنري: لا يا سيد! أفضل أنواع العليق هي تلك الأنواع الماكرة - توجد - بالضبط - حيث - أنت - تقف هنا!
(ينحني بسرعة، يلتقط توتة عليق متخيلة)
والسر هو: عليك أن تعرف أين تقف!

إدوارد: (يقطف واحدة)
هل أستطيع تذوق واحدة الآن؟

هنري: (مفكرا)
حسنا.. نعم. لكن مقابل كل واحدة تأكلها، عليك أخذ اثنتين إلى البيت.

إدوارد: (متذوقا) هممم... إنها لذلذة! اين سلتك؟

هــــــنــــــري: أستعمل قبعتي. لأن رأسي بحجم فطيرة توت العليق تماما!

(يركض إدوارد في الاتجاهات كافة، يبدو أنه يجمع توت العليق)

إدوارد: (يصرخ)

هناك بقعة كاملة منها هنا!

هــــــنــــــري: آههه، أنت موهوب دون شك.

إدوارد: (يركض من أجمة إلى أخرى)

لنتسابق ونرى من سيقطف توتا أكثر.

(لكن هنري ليس بمتسابق. كان يتوقف ليتذوق التوت)

هــــــنــــــري: (يبتلع توتة سعيدا)

(كان إدوارد الصغير يتوغل بين الأدغال ويمسك قبضة من توت العليق بأسرع ما يستطيع!)

إدوارد: انظر قطفت أكثر منك!

هــــــنــــــري: الجميع يفعلون ذلك!

(بتراخ مدروس، يقطف هنري التوت، يقذفه في قبعته. يبدو هدوؤه وراحته على نقيض نشاط الغلام وسرعة حركته. ويبدو هنري أنه يختار التوتة الدقيقة من كل أجمة - تلك التي تعد بالنكهة الأفضل)

إدوارد: كيف حصل توت العليق أن صار توت عليق وليس فراولة؟

هـــنــــري: حسنا، هناك العديد من الكتب حول هذا الموضوع. لكن لقاءك بتوت العليق يجعلك أكثر خبرة من أي عالم نباتي كتب كتابا غبيا.

(والآن ملأ إدوارد سلته تماما وجاء راكضا مبتهجا إلى هنري، لعرضها عليه)

إدوارد: انظر! انظر يا هنري! سلتي مملوءة تماما. كان على أمي أن تعطيني سلة أكبر.

(يتعثر إدوارد فجأة أثناء الركض، يسقط وتفرغ سلة التوت الخيالية بالكامل على الأرض. يرعب إدوارد الحادث. وتتحول النشوة في عينيه البراقتين الى دموع)

جميعها انسكبت وفسدت!

(يجثو هنري على ركبتيه، يضع ذراعه حول كتفي الولد المكتئب. الذي يتنهد دون توقف)

هـــنــــري: ألا تعرف ماذا فعلت؟ لقد زرعت بقعا كاملة من توت العليق، من أجل جيل من أولاد إدوارد إمرسون!

إدوارد: أنا قد...؟

(عبر دموعه المتهامدة)

كيف؟

هـــــنـــــري: لأنها هذه هي حالة الأشياء؟ لقد اشترطت الطبيعة أن الأولاد الصغار الذين يجمعون توت العليق يجب، بين فترة وأخرى، أن يكسبوا ويبعثروا حبات التوت، يا إدوارد، فلقد كنت مفيدا مثل نحلة العسل!

إدوارد: (بابتهاج)

لنقطف ثانية ونبعثرها!

(بشك يمسح إدوارد عينيه بكم قميصه، منتصرا على بؤسه السابق. يُفرغ هنري قبعته المملوءة بتوت العليق في سلة إدوارد. ويرفع إدوارد نظره في وجه هنري)

ولكن هذه كلها لك!

هـــــنـــــري: (بمهابة)

أتنازل عن ملكيتي.

إدوارد: ماذا تعني ملكيتي؟

هـــــنـــــري: مثل معظم شعوذات الملكية، لا تعني شيئا على الإطلاق.

(يمسك إدوارد بيد هنري)

إدوارد: هنري. أتمنى لو كنت أبي...!

(ينظر هنري إلى الطفل، متمنيا لو كان لكنه لا يقولها. تبتعد الإضاءة عنهما وتسقط في الوقت نفسه على ليديان، التي تجلس وتكتب رسالة. ترفع نظرها عند دخولها

هنري وإدوارد إلى فناء دار إمرسون.
إدوارد يؤرجح سلة توت العليق المستعار..
لكن يؤرجحها بحرص)

إدوارد: (راكضا إلى أمه) هل أستطيع أن آخذه وأعرضه على الجميع؟

ليديان: لا تقل آخذه بل آخذها، يا عزيزي. نعم كما تريد.

هنري: لا تنس أن تعيد السيدة إلى المنزل وترتج الباب وراءها. إذا كنت تريد بيضا مقليا على الفطور.

(يركض إدوارد حاملا معه الدجاجة)

ليديان: ورودي تشكرك.

هنري: آه، أهلا وسهلا بها.

ليديان: تزوج يا هنري. جد لك امرأة، وعلم نفسك حبها.

هنري: لدي امرأة.

(ترمقه ليديان بنظراتها)

لكن أنا عازب عنيد وفظ. وحماتي هي الطبيعة.

ليديان: هناك كثير جدا من الفتيات الشابات الجميلات.

هنري: لسوف أوصلهن سريعا إلى سن العجزة. وأنا لست متوحشا.

ليديان: أنت بحاجة إلى رأس يرتمي على الوسادة بجانبك . ماذا بشأن مارغريت فولار؟
(يكرر هنري الاسم، كما لو كان يشطفه في فمه)

هنري: مارغريت - فولار -؟ آه، لا يمكنني الزواج بها.

ليديان: ولماذا؟

هنري: أولا أنا لست أحمق لأطلب منها ذلك. وثانيا هي لم تكن أبدا غبية لتقبل طلبي.
(مستديرا)
هل تودين أن تكوني خطابة، يا ليديان؟ جدي لي شيئا ما بريئا وطبيعيا وغير معقد. شجرة بلوط. غيمة. ورقة في عاصفة ثلجية.

ليديان: لكن أليس ذلك وحدانية، يا هنري؟

هنري: وحدانية!
(يضحك) يا ليديان لست وحيدا أكثر من نجمة الشمال أو الريح الجنوبية أو أول عنكبوت في منزل جديد.
(يضيف بلطافة)
وماذا عن وحدانيتك، أنت؟ هل يكفي أن تمضي كل ليلة إلى الفراش وليس معك سوى رسالة من إنكلترا، لتخبرك عن هوى زوجك الجارف تجاه كارليل؟

(تخفض ليديان نظراتها. يمد هنري يده ويلامس كمها)

ألا يدعو «إلى الشفقة أنك آمنة» جدا معي؟

(وسط نقاش يظهر بيلي في الزنزانة)

بيلي: أخاف من المحكمة. لم أجد محاميا. الطعام ليس سيئا جدا هنا.

(يعود هنري إلى الزنزانة وتبتعد الإضاءة عن ليديان)

هل تصير محاميا؟

هنري: (يتوقف)

أنا لست محاميا!

بيلي: ألا تصير واحدا وتدافع عني؟ تتحدث مثلهم. وأنت أنيق مثلهم.

هنري: يا بيلي، أعطيك معطفي أو حذائي أو آخر حفنة فاصولياء، لسوف أقطع الخشب لك أو أدفع عربة من أجلك لكن لا أتنازل وأكون محاميا لأي كان! أظن أن إبليس كان محاميا. لهذا السبب لا يزال يقدم النصح للرؤساء.

بيلي: من أين سأجلب محاميا؟

هنري: لو كنت إلها يا بيلي لما تركتك تموت بعيدا في الظلام.

(ينهض بيلي عن سريره مرتعبا)

بيلي: قل لي ما أعمله.

هنري: (يحك ذقنه)

حسنا، يمكن أن تحاول ولادة نفسك من جديد في عصر أكثر عدالة وكرما. هذا ليس اقتراحا عمليا جدا (فكرة أخرى) أفترض أن تحاول الصلاة.

بيلي: أنا لا أعرفها.

هنري: وأنا كذلك.

بيلي: لكن هل يمكنك أن تُصلي من أجلي؟

هنري: لا.. لا أريد. وهل هذا مهم وضروري؟

بيلي: الصلاة لا تؤذي أحدا.

هنري: حسنا لنتوجه بالدعاء إلى الله.

(يشبك أصابع يديه في حالة شبه إجلال)

مباركون الشباب،

لأنهم لا يقرؤون خطابات الرئيس.

مباركون من لا يقرؤون جريدة، لأنهم سيرون الطبيعة والله من خلالها.

ومبارك بيلي، لأنه فتى طيب ويستحق معاملة أفضل مما تعطونه - مع أنه إنسان متعلم.

آمين.

بيلي: آمين. هل تظن أنها ستصل؟

هـنـري: لا أعـرف. أنـا لا أصـلـي بالكلمات عـادة. أفضل الناي.

(بينما يغوص بيلي في سريره من جديد، تخفض الأضواء في الزنـزانة.

يتحرك هنري إلى مقدمة المسرح وسط ضوء الشمس الكهرمائي، وتكتسي خلفية المسرح من جديد بنسيج من أوراق غابة والـدن. يتنـاول هـنـري نـايا ويـبـدأ فـي عـزف لحن غريب ومسالم، لحن رعوي غير مألوف من وحي الغابة. في أثناء ذلك يتسلل رجل غير مميز من مكان وجود الأوركسترا في مقدمة المسرح. يدب هذا الرجل عبر الأجمة منحنيا من الخوف، بحيث لا يلاحظ هنري وجوده. إن هـذا الـرجل هو وليمز، رجل أسـود يرتدي ثيابا مهلهلة ووسخة.

إنه ضخم الجثة لكنه مرتعب. هنري حتى الآن لم يلاحظه، لكن الرجل يظن نفسه مكشوفا لذلك يقفز وراء أجمة خيالية أخرى.

ومع تنهيدة يضع هنري نايه جانبا وينحني ليلتقط شيئا ما على الأرض. يظن وليمز أن هنري يتناول بندقية ما. فيقفز في الهواء من وراء هنري المندهش، ويضع كفه الضخم على فم هنري).

وليمز: لن ترفع بندقية في وجهي.
(يدوِّر هنري بهدوء ذراع المعذقة التي التقطها عن الأرض. يتراخى وليمز قليلا، ويبعد يده عن فم هنري).

هنري: ظننتها بندقية؟ البندقية لا تصلح لعذق الفاصولياء.
(إنه لطيف)
هل تمانع إن تابعت عملي؟
(وليمز خائف ومتردد)
ليس هناك سلاح ناري على بعد ثلاثة أرباع الميل من هنا.
(يتحرر هنري من القبضة ويبدأ العذق. بينما الأسود يراقبه)
كيف لي أن أساعدك؟

وليمز: أنا جائع. أعطني بعض الطعام!

هنري: حسنا، اجلس يا جار. ثلاثة أسابيع وتعطي هذه الفاصولياء الحب.

وليمز: حتى وقتها سأنام مع الفاصولياء! أنا راحل إلى كندا.

هنري: إلى أين؟

وليمز: كندا، كندا! شمالا قدر ما أستطيع! يقولون كلما ذهبت شمالا، صرت حرا أكثر!

هنري: (بينما يتابع عذقه)

في الكوخ، هناك، ثمة ربع رغيف من الخبز. خذه.

(يتحرك وليمز في الاتجاه الذي أشار إليه هنري ثم يتردد ويستدير إلى الوراء).

وليمز: أنت تثق بي لتتركني أدخل مكانك؟ من دون أن تراقبني؟

هنري: لمَ لا؟

(يتوقف وليمز، بعد ذلك يقوم بحركة سريعة إلى الظل بينما يتابع هنري بهدوء كبير عذق الفاصولياء. من ثم ينادي هنري تجاه الكوخ البعيد عن المسرح).

إذا رغبت في البقاء حتى العشاء، سأصطاد سمكة، ما اسمك؟

(في الحال يظهر وليمز ثانية ممسكا بقطعة خبز يلوكها بنهم)

وليمز: (وفمه مملوء)

وليمز.

هنري: أنا هنري ثورو.

(يمد يده. يندهش وليمز، ثم يمد يده بتردد لمصافحة هنري، لكن في البداية يمسح كفه على ساق بنطالة).

وليمز اسمك الأول أم الثاني؟

وليمز: إنه كل اسمي.
(فجأة)
لكن أنا لست عبدا، أنا لن أعود لأكون عبدا.
لن يأخذني أحد ثانية.
(ويتابع بحماس)
لقد ولدت منذ أسبوعين.

هنري: حسنا فعلت يا سيد وليمز.

وليمز: كنت أنتمي إلى السيد وليمز. كنت وليمز السيد وليمز لا أكثر.
(يتفحصه هنري بنظراته. وليمز قلق).
هل ستعيدني؟

هنري: ليس لدي رغبة وأكره العبودية مثلك، هنا أنت حر مثلي.
(يبدأ وليمز بالتنفس بارتياح أكبر. يتلفت حوله).

وليمز: كيف ذلك، إنك تعيش مثل رجل أسود؟ في كوخ عبد؟

هنري: (يضحك)
ربما للبرهان أن الأقل هو الأكثر. كما ترى أنا غني جدا، لكن لا أمتلك أي نقود فقط، وهذا كل شيء.

وليمز: (لا يزال مشككا)
أين زوجتك، والأولاد؟

هـــــنــــــري: حسنا، عروستي هي بقعة الفاصولياء هذه يا سيد وليمز. ولقد تبنيت عدة مراميط، وبضعة سناجب عاقين إلى حد ما.

ولـــيـــمـــز: لا أحد حتى الآن ناداني بسيد.

هـــــنــــــري: من الأفضل أن تعتاد على ذلك. إذا كنت تريد أن تكون إنسانا حرا. ويجب أن يكون لك اسم أول، أيضا،آه، ليس من الضروري. لكن ذلك عملي أكثر.

ولـــيـــمـــز: (مترددا)
هنري، ربما..؟ هل أستطيع تسمية نفسي «وليمز السيد هنري»..؟

هـــــنــــــري: لا!

ولـــيـــمـــز: (مرتعبا) لماذا تصرخ علي؟

هـــــنــــــري: أنت لست ملكا لأحد، يا سيد. سوى نفسك، وأقل من الجميع أن تكون ملكي. انتبه وإلا سوف تقع في الحال، في ما تهرب منه.

ولـــيـــمـــز: (مجربا)
هنري... وليمز...

هـــــنــــــري: إذا لم يعجبك تناسبه، هناك اسم «دافيد» وهو في اسمي أيضا، يمكنك أن تأخذه، فأنا قلما أستخدمه.

ولـــيـــمـــز: أحببت هنري وليمز! يبدو جيدا أنه اسم لإنسان حر!

(يفتح يديه على شكل كوب ويصرخ)
هنري وليمز!

هـــــنـــــري: لكن في الشمال عبودية أيضا فكل إنسان مصفود إلى عشر ساعات من العمل اليومي هو عبد للعمل. وكل إنسان قلق حول أجرة الشهر القادم هو عبد للنقود. لا تدع ذلك يحصل لك يا سيد وليمز.
حافظ على حريتك!

ولـــيـــمـــز: هنا أشعر بأنني حر الآن! معك. من قبل أبدا. أنا لست خائفا الآن.

هـــــنـــــري: ولماذا عليك أن تخاف؟

ولـــيـــمـــز: (بحدة)
دعني أعش هنا؟ لسوف أجرب حظوظي مع القانون.
أنا لا أتقن الاختباء! ولا أحد يعلم أنني هنا!

هـــــنـــــري: أرحب بك. لكن... يجب أن تجد والدن خاصة بك، يا هنري وليمز! حيث ليس عندهم قوانين مريضة تبقي الناس السود في اضطهاد. هنا في ماساشوتس، لون وجهك علم. لا تستطيع إخفاء السواد في العماء. وإذا رغبت بشيء من النور في حياتك، يجب أن تبحث عن مكان للعيش

حيث يفكر البشر بأنفسهم كبشر، وليس كبيض.

(ويضع يده على كتف وليمز).

ارحل إلى كانيادا(*).

(تبتعد الإضاءة عن الرجل الأسود والأبيض في مقدمة المسرح. لكن في منزل إمرسون يسلط الضوء على والدو في خضم نقاش حام. وقفته ملتوية كما لو يحاول الجميع بين جانبين متعارضين في قضية ما في وقت واحد).

والـــــــــدو: اقترعت بصوتي! فعلت ذلك. وضعته في صندوق الاقتراع.

وماذا تتوقع أن أعمل أكثر من ذلك؟

(يتحرك هنري داخل المشهد)

هـــنـــري: (ملتهبا بامتعاض)

اقترعت بصوتك الكامل! ليس مجرد قصاصة ورق! بنفوذك الكامل!

والـــــــــدو: (مستديرا)

يجب أن نتقدم مع الأغلبية!

هـــنـــري: (بسخط)

نتقدم!

والـــــــــدو: (بتعقل): يا هنري على المرء التفكير في العواقب الاقتصادية والاجتماعية. وعندما

(*) يلفظها هنري كما لفظ وليمز اسم كندا.

يحاول البيض والسود العيش معا، فإن عواقب هذه المحاولة غير محدودة.

هــــنـــــري: (يضرب قبضته في راحة يده)
عندها وضح! وضح الأمر!

والـــــــــدو: (محركا رأسه)
تعقد الأشياء أكثر باستعجالها. أنت عالم طبيعة يا هنري. أنت تفهم تطور الفصول البطيء. والأمر نفسه في العلاقات الإنسانية. فأنت لا تستطيع تسريع شروق الشمس.

هــــنـــــري: (بغضب مقيد)
عندما يقفز إنسان من قطار شحن يتحرك، ويحاول الزحف عبر الغابات ليقطع الحدود الى كندا.

والـــــــــدو: إلى أين؟

هــــنـــــري: (بنفاد صبر)
إلى كندا! بلاد أكثر حرية على الرغم من أنها لاتزال ملكية. لكن ليس عندهم «قانون العبد الهارب»، عندنا إنسان، عند حدود الحرية، توقفه بندقية رجل بوليس من بوسطن لكن يكون لديه الوقت لسماع موعظة الدكتور إمرسون المتروية حول «تطور الفصول البطيء».

والـــــــــــدو: يا هنري، أنا مصدوم بموت هذا الإنسان مثلك تماما. ما اسمه؟

هـــــنــــــري: (بهدوء)

هنري وليمز. رجل جديد. باسم جديد. لم يكد يستخدمه!

والـــــــــــدو: أنا قلق جدا...

هـــــنــــــري: أنت؟ بالنسبة إليك، هنري وليمز، لا يعدو كونه فكرة مجردة. يمكنك استخدامها من وقت إلى آخر كاستطراد في قاعات المحاضرات.

والـــــــــــدو: كيف لك أن تكون كريها إلى هذا الحد معي بينما أحاول أن أتفق معك؟

(تتصاعد الحرارة بين الرجلين)

هـــــنــــــري: كنت أتوقع منك أكثر مما أتوقع من أي شخص آخر، لذلك أشعر بأنني مخيب فيك.

والـــــــــــدو: حسنا ماذا تتوقع مني؟

هـــــنــــــري: كلاما صريحا واضحا!

والـــــــــــدو: إنني أتكلم.

هـــــنــــــري: ليس بكافٍ. اصرخ!

والـــــــــــدو: أنا لست صارخا.

هـــــنــــــري: ليس عبر «وعاء صوتك»! بل بدماغك! يا والدو أنا لا أستطيع لفت انتباه الناس.

لا أستطيع الوصول إلى أي كان. لا أحد يعيرني انتباها.
(بانفعال)
لكن يا إلهي، أنت إمرسون!
(أوشكت عينا هنري أن تدمعا حيث كان يتصارع فيه مزيج من الإعجاب بوثه واحتقار له).
معبود قاعات المحاضرات، لورد دائرة المحاضرات! كل كلمة تقولها من على المنصة تعد كنزا، مثل المتاع. قف، يا والدو، وقل ما تؤمن به!

والـــــــــــدو: (بتشامخ)
أحيانا أعتقد أنني اخترعتك يا هنري. أو على الأقل ألهمتك. لأنك تعيش ما أتحدث عنه. أنا لا أستطيع الوجود بطريقتك يا هنري، أنا أحب إحضار الخبز المحمص الساخن والشاي والبيضة نصف المسلوقة على صينية إلى فراشي كل صباح. وعندما أفكر فقط بـ «والدون»، أحس بالبرودة. لكنني معجب بك، يا هنري، فعلا. أنت أخلاقي المتحركة!
(يحدق هنري في والدو، مستغربا كيف يستطيع المداورة والابتعاد عن النقطة).

هذه العبارة بحرفيتها هي التي استخدمتها في وصفك لكارليل. هل تعلم أنني أخبرت كارليل عنك؟

هـــــنـــــري: (محبطا، يستدير مبتعدا)
لا يهمني ما قلت لكارليل.

والــــــــــدو: قلت لكاريل «من بين جميع الرجال في كونكورد، هنري ثورو هو الأفضل من الجميع!».
هذا ما أخبرته به.
(مبتهجا باقتباس نفسه)
«شاعر مملوء ببراعم الوعد ملء شجرة تفاح فتية، هذا ما قلته».

هـــــنـــــري: يا والدو لا تتكلم عني، تكلم معي. أصغ إليّ.

والــــــــــدو: (لا تزال أفكاره في إنجلترا)
أو هو؟ كيف كان ذلك؟

هـــــنـــــري: (بهدوء)
كيف تستطيع الرقاد في سريرك كل صباح؟ كيف يجلب الفطور إليك (بيضتك نصف المسلوقة، خبزك المحمص وشايك)؟ كيف تستطيع رفع يدك اليمنى إلى فمك بينما يدك اليسرى التي هي أنت ايضا - حكومتك - تقتل الناس في المكسيك؟ كيف تستطيع

البلع يا والدو؟ كيف تتذوق طعامك؟ كيف تستطيع أن تتنفس؟ لقد اقترعت بيدك اليمنى، لكن يدك اليسرى قتلت هنري وليمز. الراكض ليكون حرا!

والـــــــــدو: هل تظنني غير مهان، فقط لأني لم أصرخ مثل آرميا؟ أنا أفعل ما يمكن فعله!

هـــــــنــــــري: هذا ليس كافيا. افعل المستحيل. هذا ما تطلبه من الناس في محاضراتك. لكنك، أنت، لا تؤمن فعليا بأي كلمة تقولها، أليس كذلك؟

أنت تعبر نيوإنجلند من أقصاها إلى أقصاها، تمشي إلى المقرأ بتلك الابتسامة الرضية، تقبل مصافحة رؤساء البلديات والتصفيق المهذب للسيدات العجائز وتتابع إنشاد مواعظك الباهتة.

والـــــــــدو: ما أقوله ليس باهتا!

(تدخل ليديان، جذبتها أصواتهم المرتفعة النبرة)

هـــــــنــــــري: حسنا، تطلق أحيانا كثيرة صرخة كأنها صرخة معركة. لكنك أنت - أنت نفسك - ترفض سماعها.

والـــــــــدو: (بضيق شديد)

أنت رجل صعب جدا!

هنري: حسنا. إن العالم مملوء جدا بالرجال السهلين.

والدو: هل تريد مني أن أخرج مدافعا عن العنف والتمرد؟

هنري: أطلب منك إيقاف العنف. أما بالنسبة إلى التمرد. وهل تظن أن هذه البلاد قد فقست من بيضة نصف مسلوقة؟

(يومئ)

انظر حولك في كونكورد، ماذا ترى؟ لقد صرنا كل ما تمردنا سابقا ضده!

والدو: وماذا تقدم أنت أيها الشاب؟ تسحب الغاية فوق رأسك.

تقدم استقالتك من العرق البشري. وهل استطاعت جميع مراميطك، بكل حكمتها، إنقاذ حياة هنري وليمز؟ هل ستشق سمكاتك الطرقات، تبني المدارس وتطفئ الحرائق؟

(توقف هنري للحظة من دون جواب جاهز)

آه، بسيط جدا لناسك أن يبقى بعيدا، منعزلا، ويعلن ما ينبغي أن تكون عليه الأمور بدقة. ولكن ماذا لو فعل الجميع ذلك؟ أين ستكون وقتها؟

هنري: وأين نحن يا والدو؟

والـــــــــــدو: نحن في الحرب، أنا مدرك لهذه الحالة.

هــــنــــري: وهل تدرك الأسباب، مالكو العبيد يطمعون في مزيد من أراضي العبيد؟ في مزيد من العبودية، وقليل من الحرية، وهل هذا ما تريد؟

والـــــــــــدو: يا هنري. يجب أن نعمل ضمن أطر القوانين. نهاية الحرب - ظروف السود - هذا هو عمل الرئيس والكونغرس.

هــــنــــري: وهل تصدق ذلك فعليا؟ عندما أكون على خطأ. كنت أعتقد أن لديك القرف نفسه الذي عندي مما يقوم به العسكر. لكن إذا كان كل ذلك لا يزعجك، فأنا عندها لابد أنني ارتكبت خطأ.

(وبتهكم مرير)

لديك كل الحق في البقاء هادئا. سوف أعود إلى الغابة وأدعك بسلام مع حريك.

والـــــــــــدو: (في تألم حقيقي. ينظر إلى زوجته)

حسنا يا ضميري الشاب. ماذا علي أن أفعل؟

هــــنــــري: أعلن موقفك بصراحة!

(توقف آخر)

والـــــــــــدو: سوف أفعل ذلك حتما. في المرة القادمة عند حصول فرصة.

هـــــنـــــري: (بعنف)

الآن! منذ عام مضى كان متأخرا جدا!
سوف أجمع لك مستمعين. بعد ظهر هذا اليوم. في ساحة كونكورد!
(يخرج هنري بخطى واسعة من الضوء، ينظر والدو باضطراب إلى ليديان. تبتعد الإضاءة عن إمرسون. يسقط حبل الجرس من النوسان مع توجيه الإضاءة إلى البروز. يقفز هنري إلى الأعلى، يمسك الحبل، ويهز ويجلجل الجرس من فوق مرددا الأمر وأخذ الناس في التجمع، متسائلين بفضول وإثارة)

مـــــــزارع: (راكضا)

هل هناك حريق في مكان ما؟

امــــــرأة: ما الأخبار؟ هل انتهت الحرب؟

ســــــام: ماذا تفعل هنا يا هنري؟ ماذا يجري؟
(تتزايد الأصوات اختلاطا وقوة مع تزايد عدد المحتشدين. يفلت هنري الحبل بينما يتخامد الجرس الهزاز).

هـــــنـــــري: الدكتور إمرسون قادم ليتكلم. لقد وعد بإعطاء تصريح!
الآن، هنا في هذا المكان. فهو لا يستطيع الانتظار!

الأم: (باندفاع)

آه، دافيد هنري! هل جئت لتغضب الناس من جديد؟

هنري: إمرسون سوف يغضب البلاد بأكملها، وأنتم سوف تكونون أول من يسمع ذلك!

مزارع: هل هو قادم ليقول شيئا ما أم ليعطي موعظة؟

(يضحك هنري بمرح)

هنري: كلا الأمرين! بإذن الله!

(ويتجمع الآخرون)

سام: الدكتور إمرسون سوف يتحدث الآن؟

هنري: تركته للتو، هو في طريقه إلى هنا.

(هناك ثرثرة حافلة بالتوقعات. ورجل واحد، ربما كان الصحافي في المنطقة يسحب إضمامة أوراق، ويتجهز الكتابة)

صوت: من دون أن ندفع تكاليف المحاضرة، أيضا؟

(بعد توقف قصير منتظرين، يشعر الحشد بالملل)

امرأة: حسنا، أين هو؟

(بدأ عدد من المحتشدين في المغادرة. وخبأ المراسل إضمامة الأوراق)

هنري: (بثقة)

لا تقلقوا! هو قادم، سيكون هنا!

(تدخل ليديان ببطء، رأسها إلى الأسفل.
يتراجع الجميع لإفساح الطريق لها. تقترب
من هنري وبصمت تنظر في وجهه. وتسعل)

ليديان: طلب الدكتور إمرسون أن أخبرك...

هنري: (بشحوب)
نعم؟

ليديان: يقول إنه يلزمه وقت أطول للتفكير في
هذه القضايا (هنري لا يتحرك، يحدق
في وجهها فقط) ليتمكن من كتابة مقالة
يضمنها موقفه بدقة.

هنري: وكلف زوجته بالعمل السعيد والقدوم إلى
هنا لإخبارنا؟ يا له من عذر مثل عذر عاجل
يصل مدير المدرسة «آسف جدا، جوني
لا يستطيع المجيء إلى المدرسة اليوم لأنه
مصاب بالخناق».

ليديان: (تشارك ليديان هنري مشاعره لكن ولاءها
لزوجها لا يهتز).
والدو يريد تجميع أفكاره

هنري: (بغضب)
ما هذا، شتاء قناعاتنا؟ إلى أن ينهي «تجميع
أفكاره» سوف تموت جميعها تحت الثلج
مثل الهندباء البرية (يبدي الحشد التململ
ويبدأ في التفرق)

مـــــــــــزارع: جيد، جئنا راكضين إلى الحريق، لكن لم يضرمه أحد. فعلها هنري.

(بينما يبتعد الحشد، يحدق هنري في ليديان. ويستدير ببطء عنها ويأخذ في الابتعاد)

لـــيـــديـــان: (توقفه)

يا هنري زوجي يحبك، كما يمكن أن يحب أي رجل رجلا آخر..

(يتوقف هنري، لكن ظهره إلى ليديان)

هـــــنـــــري: (محركا رأسه)

يا إلهي!

لـــيـــديـــان: لماذا تستمتع بإيذائه؟

هـــــنـــــري: (يستدير نحوها)

إنه يؤذيني!

(كلاهما يتكلم في الوقت نفسه، ويتداخل كلامهما)

لـــيـــديـــان: إنه يهتم بما تفكر به، لذلك يزداد حساسية ويبالغ في تحميل نفسه.

هـــــنـــــري: يتعامل بتنازل. وأنا لن أجلس عند قدم منبر وعظة!

لـــيـــديـــان: عندما يتحدث إليك.

هـــــنـــــري: هو لم يتحدث إلي أبدا! وهل كان يتحدث إليَّ لتوه الآن؟

(بمرارة)

لقد كان في إنجلترا، يتحدث مثل الأساقفة مع كارليل!

ليديان: أنت توسع المسافة.

هنري: الحديث مع زوجك عديم الجدوى. محاولة الحصول على محادثة عاقلة معه، أضيع وقتي، هويتي تقريبا.

ليديان: أصغي إلى كليكما. أنت تشاحن وتخاصم مثل أطفال في مباراة الكريكت يتضاربون ويتدافعون ويترافسون، ليس من أجل الفكر، يلعبون ليربحوا فقط!

هنري: (ببرود)

زوجك يا سيدة إمرسون، جنتلمان لسوء حظه، مشهور، غارق في نجاحه الخاص.

ليديان: أقرب صديق إلى زوجي لا يعرف حتى من يكون زوجي! لقد رسمت فكرة محددة في ذهنك، رسمت والدو متخيل - بالطريقة التي تريده أن يكون وليس كما هو. أرجوك يا هنري، أعطه الحرية نفسها التي يعطيك هو إياها، لتكون ما أنت.

(يخفض هنري نظره. ذهب الجميع الآن. كانت ليديان تود أن تقول له:

آسفة، يا هنري، بودي لو أستطيع مساعدتك.
لكنها لم تقل).
(ابتعدت ليديان بسرعة، نظر هنري حوله في الساحة الفارغة التي كانت قبل قليل تضج بالناس).

هـــــنـــــري: (يصرخ)
يا مواطني كونكورد!
(لكنه يكلم الريح. محبط، يبحث عن سبيل للوصول إلى آذان جمهور أخرس.
يرى حبل الجرس المدلى، يقفز ليقرعه، وعلى الرغم من أنه كان يهزه بكامل وزن جسمه، فإنه لم يصدر أي صوت كان! الجرس لا يقرع! وبدهشة يسحب الحبل باهتياج أشد. لا شيء)
كيف نخلق صوتا؟ كيف نكسر هذا الصمت اللعين؟
(تبتعد الأضواء عن هنري المحبط والمغموم. ويتلاشى حبل الجرس إلى ذبذبات. يلقي بنفسه على سريره في الزنزانة. تصير السماء حمراء. وتظهر السماء كأنها تتمزق إلى أجزاء عبر الترذذ المخدر لشظايا قذائف منفجرة. يزمجر طبل مطوق بإيقاع عسكري. عازف الطبل يتابع السير، يستدير بجبهته الأنيفة.

الوجه هو وجه إدوارد إمرسون. يأتي رقيب، في بزة عسكرية فيدرالية لسنوات الأربعينيات من القرن الماضي. إنه سام ستابلز)

ســـــــــام: (كما لو أنه يدرب القوات)
أمام إلى المكسيك... سر!
ابغض - اثنين - ثلاث - أربع!
ابغض - اثنين - ثلاثة - أربع!
ابغض - اثنين - ثلاث - أربع!
(ينخس الرقيب بيلي بقفا بندقية ويوقظه. بيلي باستعداد. يضع الرقيب قبعة عسكرية على رأس بيلي ويضع بندقية بين يديه. يسير بيلي حول البروز بخطوات غير مضبوطة على وقع الضربات المعاندة للطبل. والفلاح، مرتديا البزة العسكرية، يصبح جزءا من هذه الحملة الزاحفة. يظهر بول. على كتفيه كتافات جنرال وشريط ذهبي. يصعد على الصندوق. كما لو كان منصة وسط استعراض عسكري)

بـــــــــول: (تحت إيقاع الطبل المطوق)
تعلم القتل!
تعلم القتل!
تعلم القتل!
عندها لم تقتل!
(هذا التتابع بأكمله كان أشبه بكابوس

متداخل ضبابي شبيه بكوابيس غويا Goya
إنه walpurgisnacht رحلة سيئة حافلة
باختلاط سريالي للهلوسات. الزمان والمكان
والأصوات جميعها مشوهة ومروبة).

بيلي: (خارج الإيقاع)
أنا لا أريد إطلاق النار عليهم، لم يسيئوا
إلي!
(يستدير الجميع نحو بيلي)

أصوات مختلفة: جبان! متهرب! خائن! فار!

بول: همجي!

سام: متشرد!

(يدوي انفجار عظيم لقذيفة مدفع، ينبطح
الجميع على بطونهم. صرخات وفوضى).

بول: (مشيرا إلى هنري في سريره)
لماذا لا يحمل ذلك الرجل بندقية؟

سام: (يمسك كتف هنري ويهزه)
استيقظ يا هنري. لدي شيء هنا من أجلك.
استيقظ!

هنري: لا أريده!
(لكن الرقيب يدس بين يديه بندقية. ينهض
هنري على قدميه مذهولا كما لو أنه يسير
تحت المخدر. يمسك البندقية على بعد
ذراعه بقرف)

بـــــــــــول: هـدف هـذا الـعـمل هـو إيـقـاف الـعـدو عن حماية نفسه من العدو.

هـــــــــري: (بتحد يائس)
لن أذهب!

الأم: هاكم فتى جيد، دافيد هنري. يعمل الشيء الصحيح دوما حتى لو كان على خطأ.
(يستمر قرع الطبل ويزداد غضاب. لكن هنري يتحرك بشكل غير إيقاعي ويسير بخطوات لا تتزامن مع خطوات البقية).

الرقيب والعساكر: (بصوت أقرب إلى الفحيح)
اكره - اثنين - ثلاثة - أربعة!
اكره - اثنين - ثلاثة - أربعة!
(يظهر الرئيس في معطفه الصباحي والبنطال المقلم. إنه والدو)

بـــــــــــول: سيدي الرئيس، ينصح العسكر بأن نحتل الأرض، بأكملها.
ندمر كل شيء ونساويه بوجه الأرض! هل أنتم جاهزون للسير؟

جميع الأصوات: (بنوع من الطرب الشيطاني)
تقدم!
تقدم!
تقدم!
تقدم!

(يندفع هنري إلى الرئيس. يحاول الكلام، يكون هائجا وملحاحا، لكنه لا يخرج من فمه أي صوت على الرغم من أن فمه يتحرك)

والـــــــــدو: (يكلمك الجنرال بغطرسة)
هل يقول هذا الرجل أي شيء؟ لا أستطيع سماعه.
(يحاول هنري إيقاف سير الآخرين، واحدا تلو الآخر، لكن لا يعيره أحد أي انتباه).

بـــــــــول: ما تعليماتك، سيدي الرئيس؟

والـــــــــدو: يلزمني وقت أطول لاستجماع أفكاري. لذلك سوف أعين لجنة لتعين لجنة لتعين لجنة.
(هتافات وتهليل)
حتى نصل إلى القاع، بحيث تعرف القمة ما العمل!
(يتقدم جندي مكسيكي داكن البشرة [وليمز] يحمل علما مكسيكيا)

الرقيب ستابلز: ها هو يا فتيان، إنه العدو!
(تتوجه جميع البنادق صوب المكسيكي، وهو أشبه بحيوان وقع في فخ)

هـــــنـــــري: (يصرخ)
اركض، يا هنري وليمز ! انج بنفسك!
(يقفز الجندي المكسيكي وليمز وسط

القوات الفيدرالية، يندفع بطريق متعرج وسطهم، رافعا رايته. تطلق البنادق عليه، وتخرج الطلقات بوحشية، ويستمر الدخان بالتصاعد. بينما يقفز وليمز عبر البروز ويختفي).

صـــــــوت: الزنجي القذر! لقد هرب!

هـــنـــري: (بابتهاج)

نفد!

(تستدير جميع القوات الفيدرالية تجاه هنري بشكل اتهامي. وفي الوقت نفسه تنتبه إلا أن قرع الطبل قد توقف. والطبال الصغير [إدوارد] سقط جريحا على طبله.

(يركض هنري إلى الولد الجريح، يرفعه مثل المنتحبة. من ثم ينظر إلى الرئيس شبه التمثال «والدو»)

هـــنـــري: سيدي الرئيس! لم يكن يرغب سوى قطاف توت العليق!

(لا يزال الرئيس راضيا لا تؤثر فيه الفوضى والدخان)

والـــــــدو: اقترحت كتابة مقال حصيف، أوضح فيه موقفي.

(يستمر هدير المدافع وفرقعة البنادق. يرمي هنري بندقيته بعيدا عنه. يبحث

في الاتجاهات كافة، يناشد الهواء بيدين فارغتين).

هنري: أرجوكم! ليقل أحد ما شيئًا ما ! ليصرخ أحد ما!

صوت غير مرئي: السيد سبيكر. السادة أعضاء الكونغرس! (يتجمد كل شيء في مكانه على المنصة، مهما كانت الوقفة الملتوية التي يقفها، كما لو كانت لقطة مجمدة. ويصغي هنري بتركيز حيواني)

بدأ الرئيس هذه الحرب غير الضرورية بطريقة غير دستورية، وهو وحده يمكن أن يخبرنا الحقيقة، لكنه لا يقول الحقيقة كاملة. لقد دفع الحرب أكثر فأكثر، إلى حمامات من دم. إن عقله المرهق فوق طاقة تحمله، يجوس راكضا مثل حيوان معذب على سطح حارق!

(وبرجاء)

أوقف هذه الحرب، يا سيدي الرئيس! حبا بالله، أوقف هذه الحرب!

(يبدأ شخوص ساحة المعركة بالحركة من جديد، حركة بطيئة متنافرة وغريبة، كما لو كانت حركة غوص يائس في رمال متحركة. وترتسم على وجه هنري نظرة خلاص كبيرة: أخيرا تكلم أحد ما!)

هـنـري: أنا لا أعرفك، يا سيد عضو الكونغرس. لكن أشك في أن يعاود سكان إيلينولز انتخابك، لأنك رفضت الـ «تقدم» لكن أنا سوف أذكرك دوما يا عضو الكونغرس لينكولن.

(تصل نيران المدفعية المصمتة ذروتها حجما. وثمة ومضات عظيمة، وتقوس لقذائف مدافع الهاون، ورشرشات متقطعة للرصاص. وتشكل القوات الفيدرالية خط هجوم متهلهل من رجال المشاة. يوجهون بنادقهم إلى الأمام ويتحركون إلى الأمام ببطء، يتقدمون من النظارة كما لو كان الجمهور من الأعداء. ويطوف هنري مرتعبا من المجزرة الوشيكة.

وتنفيذا لأمر عال وعميق من الرقيب سام ستابلز تأخذ جميع القوات وضعية الرامي جاثيا، وتتمنكب بنادقها على أهبة الإطلاق. نشاهد من ثم وللمرة الأولى وجها مألوفا في الصف الثاني من القوات المهاجمة، إنه وجه جون أخو هنري، يرتدي الزي الفيدرالي الموحد والكامل. عندما يرى هنري أخاه يشق طريقه بين القوات راكضا نحوه)

هـنـري: جون! جون!

(ما يكاد يصل إلى جانب جون حتى تنطلق

رشة من الرصاص. يصاب جون بإحدى الرصاصات، يطوح ذراعيه في السماء بألم، ويسقط. تتفرق القوات في جميع الاتجاهات.

المنطقة خالية من الجميع عدا هنري وجون الذي يحتضر في ساحة المعركة يلفهما دخان أسود راكد. يهدهد هنري المحطم تماما، رأس جون بين ذراعيه)

لا تمت! يا الله لا تتركه يمت مرة أخرى!

(تتوارى المنصة بالكامل تحت الظلام)

(يقرع جرس البرج ست قرعات. والفجر يرسم عبر السماء خطا باهتا كئيبا. بيلي على سريره، هنري يرقد ملتويا، ينام بشكل غيرمريح وقتها يدخل سام ستابلز - ليس كرقيب - مع إبريق وصحون قصديرية يضعهم فوق الصندوق. من الآن وصاعدا، الجميع في الثياب المعتادة. يهز كتف هنري)

سام: استيقظ يا هنري. لدي شيء ما لك، استيقظ.

(يتقلب هنري في فراشه، فهو لا يزال نصف نائم)

هنري: لا أريده.

سـام: حسنا، والعصيدة أليست شيئا ممتازا. والكوكا الساخنة.

هنري: (يستيقظ متألما)

آه، صباح الخير يا سام. صار الصباح؟

سـام: نعم. وهالك طبق من الشوكولا. هل سمعت الأخبار؟

هنري: أي أخبار؟

سـام: انتهى الأمر.

هنري: الحرب؟

سـام: السلك الذي مدوه مباشرة إلى تكساس. الآن صار يعمل. من نيويورك يمكن لأي شخص إرسال كلماته بالكهرباء - وبالسرعة التي يتحدث بها.

هنري: (بينما يرتشف شوكولاته بتفكير)

لكن يا سام، ماذا سيحدث إذا لم نجد أحدا في نيويورك لديه أي شيء ليقوله إلى أي كان في تكساس.

سـام: فكرت يمكن أن تكون سعيدا بسماع هذا الخبر، وحسب. شيء آخر - أوه -

(يسعل)

- أوه - يمكنك أن تغادر يا هنري. في أي وقت تشاء.

هنري: أغادر؟

سـام: خلال الليل سددت الضريبة المستحقة عليك.

هنري: ومن فعل ذلك؟

سـام: لا يسمح لي البوح باسمه.

هنري: والدو! هل الدكتور إمرسون دفعها؟

سـام: لا يا سيدي.

هنري: أمي؟

سـام: لا.

هنري: أنت إذن؟

سـام: أنا قد عرضت، يا هنري. وأنت رفضت بوضوح.

هنري: السيدة إمرسون. هل جاءت ودفعتها؟

سـام: والآن كف عن التحذير لإجباري على إخبارك. لقد وعدت خالتك لويزا بأنني لن أفتح...

هنري: (باشمئزاز)
خالتي لويزا!
(يبدأ بيلي بالتحرك)
أنا ملعون بإحسان خالتي!
(مناديا بعيدا عن المسرح لها)
يا خالتي لويزا، لماذا لا تبعدين أنفك وأسنانك الكاذبة عن حياتي!
وأنا بمقتضى ذلك أحرمك من درب اللبانة!

(سام يفتح بوابة السجن، يتناول هنري ورقة).

سام: ظريف أنك كنت معنا، يا هنري. ها هو الإيصال.

(يتجاهل هنري الورقة)

هنري: لا أريدها. لا يمكنك اتهامي بأنني سددت ضريبتي!

سام: لقد سددت.

هنري: ليس من قبلي. لا أزال مذنبا.

(يجلس هنري على سريره، بعناد)

سام: يا هنري، لا يملك أي إنسان الحق في البقاء في السجن إذا لم تكن هناك تهمة ضده. حتى أنني لا أستطيع أن أجلب الغذاء لك.

بيلي: (بشيء من الحزن)
أنت خارج الآن؟

سام: نعم خارج!

هنري: لا!

سام: القانون وضعك هنا. والقانون هو من يقول متى تكون في الخارج.

بيلي: سيخيم هدوء عظيم هنا...
(يحدق هنري على بيلي بتركيز)
ما الخطأ؟

هنري: (برقة)

كل شيء على خطأ، عندما يفكر المرء بنفسه فقط.

(بحدة مع سام)

يا سام، أنت تعرف ما تعنيه quiproquo (*)؟

سـام: (بتألم)

هذه عبارة من عبارات هارفورد؟

هنري: هذه العبارة تعني أنه إن حاولت أن يقدم بيلي إلى المحكمة الآن، وليس بعد ثلاثة أشهر أو ثلاثة أسابيع أخرى - إنما الآن حالا - عندها سوف أمنح قانونك الشرف بالخروج إلى رصيف المشاة. ولا تحاول قبل ذلك.

سـام: ليس ضمن صلاحياتي. أنا لا أصدر قرارات مثل هذه.

(يعود هنري إلى سريره، يسحب البطانية فوقه)

هنري: تصبح على خير يا سام.

سـام: (بتألم وحيرة)

صار الصباح يا هنري.

هنري: إنما ليس بالنسبة إليّ. إلى أن تفرجوا عن بيلي.

سـام: سأعمل كل ما أستطيع. لسوف أكلم القاضي والمدير.

(*) quiproquo: الشيء بالشيء.

هـــــنـــــري: قل لهم ما لم يقدم السيد بيلي إلى المحكمة الآن، سيكون لديهم ضيف أكول، وغير دفيع آخر في السجن، وبشكل دائم!

(يخرج سام، متمنيا على الأرجح لو كان جنديا في المكسيك. يتحرك بيلي. لا أحد في حياته وقف إلى جانبه مثل هذا الرجل، هنري).

بـــيـــلـــي: شكرا. لن أنسى ما حييت هذه الليلة عندما أخرج، سأذهب لزيارتك إذا كنت لا تمانع، إلى بركتك.

(يعود صوت الناي، لكن ليس هناك إسقاط للأوراق، فقط توهج متصاعد للفجر. توقف، يتخذ هنري قراراً صعبا. يحدق في البعيد تجاه والدن).

هـــــنـــــري: على الأرجح لن أعود إلى «بركتي» يا بيلي. يبدو لي أن لدي حيوات أخرى يجب أن أحياها. ولا أعرف إذا كنت أستطيع إدخار أي وقت من أجل الحياة تلك.

بـــيـــلـــي: يبدو لي أنها كانت حياة مثالية تماما.

هـــــنـــــري: هذه هي المشكلة. إذا حدث وعشت هناك فترة أخرى، يمكن أن أبقى هناك دوما. فعليك أن تفكر مرتين قبل أن تقبل الفردوس مقابل شروط مشابهة.

(وبشكل مفاجئ)
هل حصل لك وقمت برحلة على قارب ،
يا بيلي؟

بيلي: على قارب نهري فقط.

هنري: عندما تشتري بطاقة لكابينة حجرة خصوصية في رحلة بحرية عبر المحيط، يمنحونك الحرية الكاملة على المركب. وهذه ميزة يجب استغلالها. فالإنسان يجب ألا يبقى طوال فترة الرحلة رهين مكان واحد على ظهر المركب، مهما كان هذا المكان جافا ومريحا. ودافئا.
(ببساطة)
أعتقد أن عليّ أن أطوف المركب بالكامل. اذهب أمام الدقل! قف في العراء على مقدم المركب!
(تلاشت معزوفة الناي)
يا بيلي حاولت الهرب. لكن الهرب مثل النوم، عندما يكون النوم دائما هو الموت.
(توقف. يتحرك هنري يتقدم إلى النافذة المتخيلة في مقدم المسرح، بحيث تضيء أشعة شمس الصباح وجهه)
يجب أن أغادر والدن.

(الكلمات مؤلمة بالنسبة إليه. يسير بيلي تجاه هنري كما لو أنه يريد مواساته رافعا يدا تجاه كتفه، بيلي عاجز)

ليس من الضروري أن تكون هناك لتكون هناك.

(يتحرك بيلي إلى النافذة، يجذبه الضوء المتزايد إشعاعا على وجه هنري. ينظر إلى الخارج بخشوع).

بيلي: صباح ساطع. سيكون نهارا تموزيا رائعا في الخارج.

هنري: يصير الضوء أحيانا ساطعا جدا بحيث يطفئ أعيننا. وعندها يخيم الظلام التام من جديد.

إذا بقينا مستيقظين، سيطلع الصباح. أن تكون حيا يعني أن تكون متيقظا.

(يرفع نظره. السماء فعليا مشرقة بضوء الشمس الساطعة الآن)

لا يزال هناك يوم آخر للفجر. الشمس نجمة الصباح لا غير.

(يصافح بيلي، يهم بالخروج، يتذكر شيئا ما، حذاءه. يأخذه ويلوح به لبيلي مودعا. وعلى البوابة، يتوقف هنري، يحدق النظر بحدة.

ومن البعيد، يسمع قرع طبال غير عسكري ومختلف الإيقاع.

يتحرك إلى ساحة الكونكورد المتوهجة بأشعة ضوء الصباح. فجأة قرعات الطبل تأتي من اتجاه مختلف، تزداد قوة. تشبه هزيم رعد قادم من جميع الجوانب.

تتابع عيناه قوس السماء. يبدو أن قامته تكبر وترتفع وتتعزز بتحد أكبر.

يلوح لبيلي الذي يرد على التلويح بحرارة من نافذة الزنزانة.

وبتصميم، يقفز هنري من المنصة ويسير إلى جناح المسرح صوب صوت قرعات طباله الخاص والمختلف.

لا تسدل الستائر. لا تطفأ الإضاءة، إنما يزداد سطوعها.

وخلال ذلك يعلن نهاية المشهد. وبينما يغادر النظارة المسرح، يتزايد إيقاع طبل هنري غير النظامي والمميز قوة ويردد ذلك الصدى)

انتهت

المترجم في سطور

حسن كامل بحري

- سوري الجنسية، من مواليد ١٩٥٥.
- حاصل على دبلوم في الترجمة من معهد اللغات في لندن، المملكة المتحدة.
- حاصل على ماجستير في الميكانيك من أوكرانيا.
- عضو في منظمة «كتاب في المهجر»، في المملكة المتحدة.
- ترجم عدة كتب من الإنجليزية إلى العربية، ومنها:
- الهويات المتعددة للشرق الأوسط، للمؤرخ برنارد لويس.
- نصف حياة، رواية للروائي ف أس نايبول.
- الخروج من جنة عدن من أجل أن نحمي الأرض ونتدبر شؤونها ليوان جورج نيسبت.
- كما ترجم العديد من المقالات الفكرية والبحوث ونشرت في دوريات وصحف عديدة.
- نشر مجموعة قصصية باللغة العربية.

المراجع في سطور

د. محمد مبارك بلال

- من مواليد الكويت.
- يعمل أستاذا بالمعهد العالي للفنون المسرحية، وشغل منصب عميد المعهد العالي للفنون المسرحية الأسبق.
- انتدب للعمل بوظيفة مستشار بسلسلة «من المسرح العالمي» من عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٨.
- ترجم لسلسلة «إبداعات عالمية» مسرحيتين من الأدب النيجيري هما: «آرنجندن والحارس الليلي» و«النيران تخمد وتشتعل بقسوة» للكاتب فيمي أوسوفيسان في العدد (٣٤٢) من السلسلة.

إصدارات قادمة

مختارات من الشعر الإيراني الحديث

تأليف:مجموعة من الشعراء الإيرانيين

ترجمة:أ. موسى بيدج

مراجعة:أ. عبدالقادر عقيل

(ترجمت عن الفارسية)

العقرب.. وقصص أخرى

تأليف: بول بولز

ترجمة: محمد هاشم عبدالسلام

مراجعة: د.سليمان الرباح

(ترجمت عن الإنجليزية)

ما صدر من هذه السلسلة

317	ملحمة علي الكاشاني	تأليف : خلدون طائر
318	نون والقلم	تأليف : جلال آل أحمد
319	سيري سامبيجي	تأليف : تشاندرا سيخار كامبار
320	أيام بورمية	تأليف : جورج أورويل
321	ست وصايا للألفية القادمة	تأليف : ايتالو كالفينو
322	السكرتير الخصوصي	تأليف : ت. س. إليوت
323	قصص برازيلية	تأليف : مجموعة من القاصين البرازيليين
324	شذرات من خطاب في العشق	تأليف : رولان بارت
325	لون الماء	تأليف : جيمز ماكبرايد
326	وجهان لحواء	تأليف : أمريتا بريتام
327	المنزل ذو الشرفات السبع	تأليف : اليخاندرو كاسونا
328	من الأدب الباكستاني الحديث	تأليف مجموعة من القاصين الباكستانيين
329	مختارات من القصة التركية المعاصرة	تأليف : مجموعة من القاصين الأتراك
330	مسرحية محكمة العدل في بلخ	تأليف : بهرام بيضائي
331	مطبخ - خيالات ضوء القمر	تأليف : بنانا يوشيموتو
332	الطباخون الأشرار	تأليف : جونتر جراس
	الجرة المكسورة	تأليف : هاينرش فون كلايست
333	شمل تشابه ضائع	تأليف : أندريه شديد
334	حكايات الهنود الأمريكيين وأساطيرهم	تأليف : فلاديمير هلباتش
335	زهرة الصيف	تأليف : مجموعة من القاصين اليابانيين
336	طام - طام زنجي	تأليف : ليوبولد سيدار سنغور
337	اليبروح	تأليف : نيكولو ماكيافللي
338	منزل النور	تأليف : جوهر مراد
339	كثبان النمل في السافانا	تأليف : تشنوا أشيبي
340	أناتول وجنون العظمة	تأليف: أرتور شنيتسلر
341	غرام ميتيا	تأليف: إيفان بونين
342	آرنجندن والحارس الليلي	تأليف: فيمي أوسوفيسان
343	ورقة في الرياح القارسة	تأليف: تنغ - هسنغ يي
344	مدرسة الدكتاتور	تأليف: إيريش كستنر
345	رسائل عيد الميلاد	تيد هيوز
346	حكايات وخرافات أفريقية (1) الطفل الملك	تأليف: سليمان جيغو ديوب
347	مسرحية عذراء أورليان	تأليف: فريدريش شيللر
348	حكايات وخرافات أفريقية (2) الأدغال والسهول المشبية تحكي	تأليف: سليمان جيغو ديوب
349	القصة القصيرة الإسبانو أمريكية	تأليف: مجموعة من القاصين

ما صدر من هذه السلسلة

قسيمة الاشتراك

البيان	إبداعات عالمية		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	**مدة الاشتراك:**
المبلغ المرسل:	**نقداً/ شيك رقم:**
التوقيع:	**التاريخ: / / ٢٠٠م**

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

أسماء وكلاء التوزيع

الكويت:
شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع
شارع جابر المبارك - بناية التجارية العقارية
ص. ب ٢٩١٢٦ - الرمز البريدي ١٣١٥٠
ت ٢٤٠٥٣٢١ - ١١/٢٤١٧٨١٠ فاكس ٢٤١٧٨٠٩

الإمارات:
شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع
دبي، ت: ٩٧١٤٢٦٦٦١١٥ - فاكس: ٢٦٦٦١٢٦
ص. ب ٦٠٤٩٩ دبي

السعودية:
الشركة السعودية للتوزيع
الإدارة العامة - شارع الملك فهد (الستين سابقا) - ص. ب ١٣١٩٥
جدة ٢١٤٩٣ ت ٦٥٣٠٩٠٩ - فاكس ٦٥٣٣١٩١

سورية:
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
سوريا - دمشق ص.ب (٩٦٣١)١٢٠٣٥
ت - ٢١٢٧٧٩٧ فاكس ٢١٢٢٥٣٢

مصر:
مؤسسة الأهرام للتوزيع
شارع الجلاء رقم ٨٨ - القاهرة
ت - ٥٧٩٦٣٢٦ فاكس ٧٧٠٣١٩٦

المغرب:
الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر والصحافة (سبريس)
زنقة سجلماسة الدار البيضاء ٧٠
ت ٢٢٢٤٩٢٠٠ فاكس (٢١٢) ٢٢٢٤٩٢١٤

تونس:
الشركة التونسية للصحافة
تونس - ص. ب ٤٤٢٢
ت - ٣٢٢٤٩٩ فاكس - ٣٢٣٠٠٤ (٢١٦٧١)

لبنان:
شركة الشرق الأوسط للتوزيع
ص. ب ١١/٦٤٠٠ بيروت ٢٢٢٠/١١٠٠١
ت - ٤٨٧٩٩٩ فاكس - (٩٦١١) ٤٨٨٨٨٢

اليمن:
القائد للتوزيع والنشر - ص. ب ٣٠٨٤
ت - ٣/٢/٣٢٠١٩٠١ فاكس (٩٦٧) ٧/٣٢٠١٩٠٩

الأردن:
وكالة التوزيع الأردنية
عمان ص.ب ٣٧٥ عمان - ١١١١٨
ت - ٥٣٥٨٨٥٥ فاكس (٩٦٢٦) ٥٣٣٧٧٣٣

البحرين:
مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف
ص. ب ٢٢٤/ المنامة - البحرين
ت ٢٩٤٠٠٠ - فاكس (٩٧٣) ٢٩٠٥٨٠

عمان:
المتحدة لخدمة وسائل الإعلام
مسقط ص. ب ٣٣٠٥ - روي الرمز البريدي ١١٢
ت ٧٠٠٨٩٦ - ٧٨٨٣٤٤ فاكس ٧٠٦٥١٢

قطر:
دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع
الدوحة ص. ب ٣٤٨٨ - قطر
ت ٤٦٦١٦٩٥ فاكس (٩٧٤) ٤٦٦١٨٦٥

فلسطين:
وكالة الشرق الأوسط للتوزيع
القدس/ شارع صلاح الدين ١٩
ص. ب ١٩٠٩٨ ت ٢٣٤٣٩٥٤ فاكس ٢٣٤٣٩٥٥

السودان:
مركز الدراسات السودانية
الخرطوم ص. ب ١٤٤١ ت ٤٨٨٦٣١ (٢٤٩١١)
فاكس ٣٦٢١٥٩ (٢٤٩١٣)

نيويورك:
MEDIA MARKETING RESEARCHING
25 - 2551 SI AVENUE LONG ISLAND CITY
NY - 11101 TEL - 4725488
FAX 1718 - 4725493

لندن:
UNIVERSAL PRESSلله MARKETING LIMITED
POWER ROAD. LONDON W 4SPY
TEL 020 8742 3344
FAX: 2081421280

سلسلة إبداعات عالمية

«إبداعات عالمية» سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وكانت في السابق تصدر - شهريا - عن وزارة الإعلام تحت اسم سلسلة «من المسرح العالمي» حتى بعد انضمامها إلى المجلس الوطني عام ١٩٩٤، وكانت تعنى بنشر المسرحيات العالمية فقط.

وقد صدر العدد الأول من سلسلة «من المسرح العالمي» في أكتوبر ١٩٦٩، تحت عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم»، تأليف: مانويل جاليتش، وبعد تغيير مسماها إلى سلسلة إبداعات عالمية عام ١٩٩٨، أصبحت تعنى بنشر الترجمات الإبداعية الراقية من لغات مختلفة، وتنطلق أهداف السلسلة (إبداعات عالمية) من فلسفتها في نشر الوعي الثقافي القائم على التراث الإنساني، من خلال نشر وتقديم ترجمات رصينة من الآداب العالمية، من روايات وقصص قصيرة ودواوين شعر ومسرحيات... وغيرها، من لغاتها الأصلية، بهدف تزويد المكتبة العربية بآثار هذه الثقافات المختلفة.

وترحب السلسلة باقتراحات النشر والترجمة المقدمة من المتخصصين، على أن تكون وفق الشروط التالية:

١- أن تكون المادة المقترح ترجمتها مميزة في المستوى الفكري والأدبي الرفيع، ولم يسبق نشرها في أي مكان آخر.

٢- يجب ألا يزيد حجم المادة على ٣٥٠ صفحة من القطع المتوسط، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدواه.

٣- يجب تقديم النص الأدبي المقترح نشره، أو ترجمته مع الكتاب في لغته الأصلية، ويرسل مطبوعاً على الآلة الكاتبة مع وضع نسخة من النص المترجم في ديسك أو CD، مع تدوين أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة.

٤- السلسلة غير مسؤولة عن إعادة الكتب الأجنبية والنصوص الأصلية أو المترجمة التي لا يتم قبولها.

٥- المواد المقدمة للنشر أو الترجمة تخضع للتحكيم العلمي على نحو سري من قبل هيئة تحرير السلسلة، ويجري إرجاع النصوص إلى أصحابها لإجراء التعديلات أو الإضافات اللازمة عليها قبل نشرها، كما يجب ألا تحتوي النصوص على عبارات منافية للدين أو الأخلاق.

وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع المترجم للنشر تصرف مكافأة للمترجم بمعدل ٢٠ فلسا عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي.

وفي جميع الحالات ينبغي إرسال سيرة ذاتية وافية (C.V) للمترجم، تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه الأدبي السابق، وعنوان المراسلة التقليدي والإلكتروني، واسمه الثلاثي باللغة الإنجليزية حسب جواز سفره، بالإضافة إلى كتابة اسم البنك الذي يتعامل معه ورقم حسابه الذي ستحول المكافأة عليه.

الفهرس



إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
الإصدارات غير الدورية
تاج العروس
العرب
الفضة المضية
الفاخر
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب
تركستان
فهرس المخطوطات المصورة
مآثر الإنافة في معالم الخلافة
كتاب المناظر
للحسن بن الهيثم

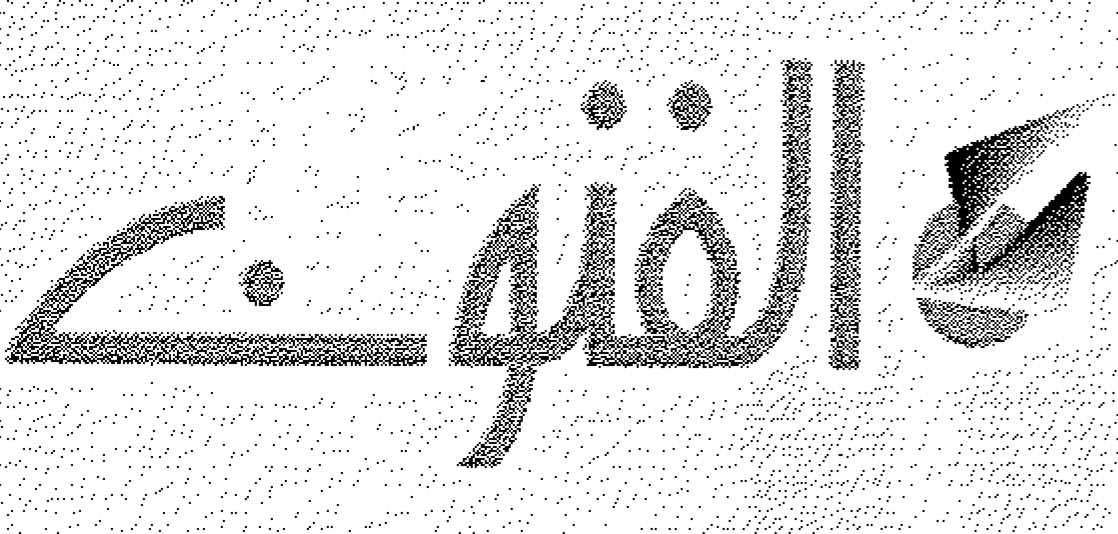


مطابع دار السياسة
تلفون: ٤٨٤٣١٥١

إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب







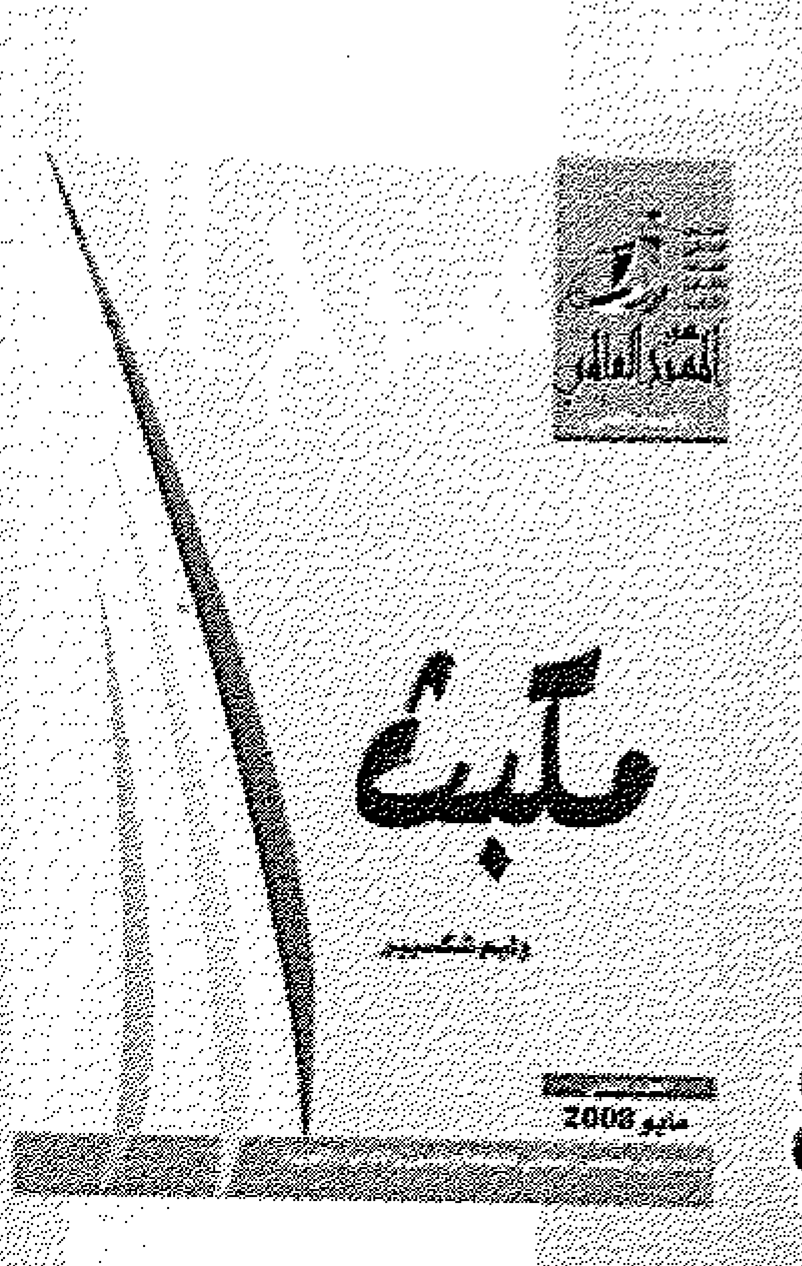


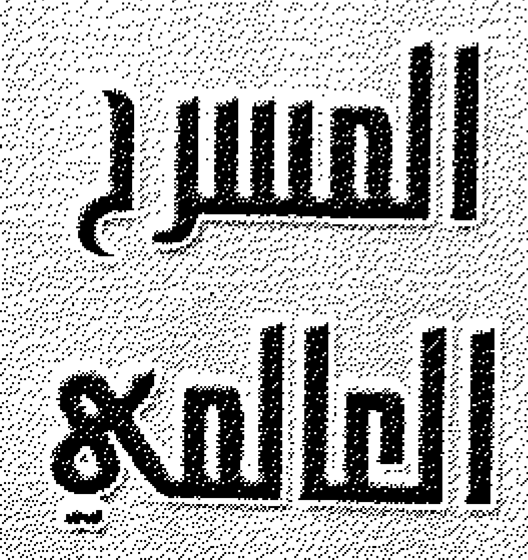
عالم المعرفة

عالم الفكر

الثقافة العالمية







المسرح العالمي

الإصدارات الدورية

